الجامعة الاردنية

كلية الدراسات العليا

٥٤٧
٠٦٢
١٠٨٩
١٨
٦٠٦
٥٥٠٤

رسالة ماجستير

بناء الحكاية في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع

- دراسة نصية -

عميد كلية الدراسات العليا

اعداد

ريم خليف عبدالله المرايات

اشراف

الاستاذ الدكتور إبراهيم السعافين

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في كلية الدراسات العليا في الجامعة الاردنية

تشرين الأول ١٩٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٣/١٠/١٩٩٣ وأجيزت .

لجنة المناقشة :-

الأستاذ الدكتور ابراهيم السعافين (مشرفاً)

الأستاذ الدكتور إحسان عباس (عضواً)

الأستاذ الدكتور محمد عصفور (عضواً)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى شيخي الأول ، الذي علّمني مع حرفي الأول:-

الصبر ، والبساطة ، والحكمة ...

أبي ، أخي ، معلّمي ، وصديقي .

الى السّيدة العظيمة «أمي» التي ألهمها الله ، فألهمتني أعظم ما في الحياة :-

الحب ، والعلم ، والقدرة على التّحمل .

إلى القائد الضّرورة ، والمثل الأعلى ، والوطن الحلم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وعرفان

لا يسعني في هذا المقام ، إلاّ أن أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الخالص لأساتذتي الأفاضل :- الأستاذ الدكتور إحسان عباس ، والاستاذ المشرف الدكتور ابراهيم السعافين لقاء ما حفّوني به من رعاية وتوجيه واهتمام طوال فترة إعداد هذه الرسالة ، وقبلها بكثير. فما كان لهذا البحث أن يخرج على هذه الصورة لولا عظم صبرهما ، وسعة صدرهما ، وفيض علمهما .

- وإلى الاستاذ الدكتور محمد عصفور لتفضّله بقبول هذه المناقشة .
- وإلى جميع أساتذتي في قسم اللغة العربية وآدابها .
- وإلى صديقتي إيمان عوض .
- والعزيز عامر

لقاء ما بذلوه من عون وتشجيع.

- وإلى إخوتي ، وأحبتي ومعارفي وجميع أصدقائي .

كما أتقدم بالشكر الوافر إلى موظفي المكتبة العامة في الجامعة الأردنية ، وكل من عمل على أن يخرج هذا البحث على هذه الصورة .

جزاهم الله عني جميعا خير الجزاء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

قرار لجنة المناقشة ..... ب
الاهداء ..... جـ
الشكر ..... د
فهرس المحتويات ..... هـ
المخلص باللغة العربية ..... و
المقدمة ..... ١ - ٢
الفصل الأول :-
- باب الأسد والثور ٣
+
- باب الفحص عن أمر دمنة
الفصل الثاني :-
- باب الحمامة المطوّقة ٣٩
الفصل الثالث :-
- باب البوم والغربان ٦٥
الفصل الرابع :-
- الغاية والفعل ٨٤
الفصل الخامس :-
- العلم والعمل ١١٥
الفصل السادس
موتيفات : -
المرأة ١٢٧
المال ١٣٠
القدر ١٣٣
الخاتمة ١٣٦
المصادر والمراجع ١٤٠
الملخص بالانجليزي ١٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخّص

[بناء الحكاية في « كليلة ودمنة » لابن المقفع]
دراسة نصية

تناولت في هذا البحث أحد كتب التُراث السرديّة القيّمة التي تمجّد العقلَ والعقلاء ، وحريةَ الإرادة الإنسانية ، وهو كتاب « كليلة ودمنة » لابن المقفع لدراسة بناء الحكاية فيه دراسة نصية ؛ ولهذا ركزت الدراسة على الأثر الأدبي ذاته – وحدات الحكاية ووظائفها ونصها – ولم تعن بالأصول التي انبثق عنها هذا اللون من الأدب ولا بتحقيق النّص ، وتتبع مخطوطاته .

واعتمدت منهج « بروب » في إطاره العام في تحليل بناء حكايات الكتاب ، مع أخذ الحرية في مبارحة هذا المنهج حيث اقتضى النص ذلك . كما اعتمدت في دراستي طبعة دار مكتبة الحياة الصادرة في بيروت ، غير أني عدت إلى الطبعة التي أصدرها الدكتور طه حسين ، والدكتور عبد الوهاب عزام في بعض المواضع التي اقتضت ذلك .

إن بحثنا في البناء الحكائي يفيدنا في كيفية كتابة الأعمال الأدبية وقراءتها وتحليلها ، كما يفيد في تربية النشء تربية عقلية ونفسية على أسس علمية . فكل حكاية من حكايات كليلة ودمنة تختلف من حيث صورتها الظاهرية عن الحكايات الأخرى ، غير أن المتأمل لهذه الحكايات يكتشف أن مبنى حكائياً ينتظمها ليؤدي بنا الى غاية واحد تهدف الى اغناء الواقع بكشف الحقائق وفتح آفاق المعرفة .

وقد قمت بتفكيك المبنى الحكائي بقصد الكشف عن جوانبه الجمالية والمنطقية ، فالنص غني بالخصائص الأسلوبية والخصائص السيمائية التي تخفي وراءها البنية الأساسية لعالم المعنى . حيث تبرز البنى العميقة للعقل الذي يصون السلطة ومعها المجتمع الذي تحكمه ، كما يصون الافراد باعتباره القوة التي يمكن الاعتماد عليها دائماً من أجل تحقيق السعادة والرخاء .

وقد عمد الكاتب الى نظام واحد في سرد الحكايات اذ تشتمل كل حكاية رئيسية على نظرية وتطبيق ، تتدخل الحكايات الفرعية لتأكيد بنية الكتاب الرئيسية وتكميلها ، وتشبه حركتها حركة الحكاية الرئيسية الى حد بعيد، اذ لا تلد الحكاية إلا أخرى مماثلة لها على صورتها ، وتفريعات الحكاية الفرعية موظفة لخدمة حركة النص الأصلية بمعنى أنها تسير بالحكاية نحو مبنى حكائي واحد .

فكل حكاية من حكايات كليلة ودمنة تشكلُ نظاماً قائماً بذاته ، ومقفلاً على نفسه ، ولكنّه ينفتح في داخله على عدد من الحكايات . هذا الانفتاح الذي يتسم بالغنى والعمق يعود ليقفل الحكاية الرئيسية من جديد ، وتشكل الحكاية الرئيسية نظاماً مع الحكايات في الأبواب الأخرى التي تتضمن بدورها عدداً من الحكايات .

ولا بد أن يكون هذا الإحساسُ بالشكل قد تطوّر ذاتَ مرّة ، أي السّعيُ وراءَ نظام محدّد في التفصيلات ، فهو يخضع لقواعد محددة . وإذا نحن أخذنا بتفسير مصدر هذه الرغبة في الشكل بإرجاعها إلى المجال التعليمي أمكننا فهم الحكايات بطريقة أوسع وأعم ، كما يسمح بذلك تفسير بعضها بقراءة العلاقة التي يقيسها كل مستوى مع غيره من المستويات داخل النظام الواحد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

باب الأسد والثور

+ باب الفحص عن أمر دمنة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإنسان هو المخلوق الوحيد في هذا الكون الذي يسعى إلى تحسين ظروف حياته ، والوصول بها الى غاية أسمى ، ومكانة أعلى .

ولمّا كان لا يستطيع أن يفعل ذلك بدون الانفتاح على الآخرين مع ما يكتنف علاقات هذا الانفتاح من تضارب في المصالح، وتحوّر وتبدّل في الوسائل والغايات ، كان لا بد له من ضابط، ينظّم له هذه العلاقات ، ويحفظها في توازنها الطبيعي ليتمكن من خلالها تحقيق رغباته ، والوصول إلى مراميه بما يحفظ له الانسجام مع محيطه ، ويؤمن في نفسه السعادة والاستقرار.

والعقل هو هذا الضابط، وهو ميزة الإنسان وعنوان شخصيته ، وميزان حياته . وهو قوة لجميع الأحياء ، منّ الله به على عباده ، فما يقدر أحد منهم على إصلاح معيشة ولا إحراز منفعة، ولا دفع ضر إلا به ، وكذلك طالب الآخرة المجتهد على استنقاذ روحه من الهلكه ، فالعقل هو سبب كل خير ، ومفتاح كل رغبة ، وليس لأحد غنى عنه .

وكليلة ودمنة اسمان لشخصيتين رئيسيتين من شخصيات حكاية باب الاسد والثور ، وهما أخوان من أبناء آوى قضيا عهدا طويلا يعملان معا على باب (الأسد – الملك) ، ولكنّ الاختلاف بينهما كان كبيرا ، فعلى حين قنع الأوّل أن يبقى في « الظل» وأن يؤدي أعماله بعيدا عن السلطة ومخاطرها ، دفع الطموح بالثاني لأن يدخل في دوائرها العليا حتى أصبح واحدا من نخبة الملك.

فهل يحتفظ دمنة بالمرتبة التي وصل اليها في بلاط السلطان؟

إنّ القراءة المتأنية للنص* من داخله تجيب عن هذا السؤال ، وتعلل الإيجاب والسلب في الإجابة عنه، كما تبرز في الوقت نفسه القيم التي أرادت الحكاية معالجتها وتأكيدها .

---

* المقصود بالنص : باب الأسد والثور الى جانب باب الفحص عن أمر دمنة ، باعتبارهما مرتبطين، لا يمكن دراسة أحدهما بمعزل عن الآخر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الورطة : -

يقع الأسد في ورطة نفسية وهي : الخوف ، سببها خوار ثور

ولأن الأسد يجهل الثور ، كما يجهل حقائق الأمور ، فقد كوّن للثور صورة في خياله على أنه البطل المنتظر ، اعتمادا على برهان زائف هو الخوار، الذي أخذه الأسد في الاعتبار مثل برهان حقيقي يدل على القوة والعظمة .

إن أمن الدولة الداخلي اذن اصبح مهددا من مصدر خارجي مجهول. ولكي يبعد أي احتمال للخطر تصبح الحاجة ماسة الى معالجة سريعة ، يصاحبها وضوح في الرؤية.

إن الوضوح في هذا الموقف يأتي من جانبين :-

١- عقل الملك وحسن تبصره في الأمور ، ومعالجته لها .

٢- بطانة الملك الصالحة ، وما تشير به من حكمة وعلم .

ولكن البطانة الصالحة غائبة بسبب أن الملك لا يستشير أحدا . على أن بالباب من يرصد التحول في نفسية الملك ، أو التباس أمره :-

إنّه دمنة ، أحد بنانآوى ، وقد أعلن لأخيه كليلة من قبل عن رغبته في الوصول الى الأسد، وبلوغ منزلة لديه . ولكن أخاه المجرب كليلة يمنعه من ذلك لأسباب ، منها : أن الطريق الى الأسد مخوف ، محفوف بالمخاطر ، بيد أنّ دمنة يصر على بلوغ ما أمّل .

إنّ المهمة الصعبة التي عزم دمنة على إنجازها تقتضي من أجل تحقيقها ، النجاح في اختبارين داخليين :-

الأول : - الوصول الى الأسد ، ويتضمن اختبار المعرفة .

والثاني :- بلوغ المنزلة لديه . ويتضمن اختبار القدرة

إن بلوغ المنزلة عند الأسد هي الغرض البعيد الأسمى الذي سعى إليه دمنة ، وقد صرّح بذلك لأخيه كليلة ، بقوله :-

« . . . لعلي على هذه الحال أدنو منه ، فأصيب عنده منزلة ومكانة ، فيبتدرني بالكلام فأجيبه بما تقدحه القديحة لعلها تنتج بيننا نتيجة تؤدي إلى إظهار أمر مكتوم [1] » .

---

(١) ابن المقفع : كليلة ودمنة ، ص ١٢٣ دار مكتبة الحياة - بيروت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن إظهار الأسد لدمنة الأمر المكتوم يعني أن دمنة قد بلغ المنزلة التي يؤملها عنده ، وهي أن يصبح واحدا من بطانته وأعوانه المقربين ، الذين يبوح لهم الملك بأسراره ويستعين بهم على أداء مهماته، لأن بوح الملك بأسراره لا ينبغي أن يكون إلا لبطانته وأعوانه المقربين .

على أنّ بلوغ المنزلة عند الأسد يقتضي أولا الوصول إليه وقد أعان دمنة على ذلك، فرصة ضعف الملك بسبب التهديد الخارجي المتمثل (بخوار الثور) ، وغياب الأعوان الصالحين ، والتباس أمر الملك وأمر جنده عليه . يقول دمنة محدثا كليلة بهذا الشأن :-

« أريد أن أتعرض للأسد عند هذه الفرصة ، لأنّه قد ظهر لي أنهّ ضعيف الرأي قد التبس عليه أمره ، وعلى جنده [١] أيضا » .

ولكن الوصول الى الأسد يقتضي بدء النجاح في اختبار المعرفة الذي يشترط القدرة على الاقناع والتأثير ، وقد تمكن دمنة من إنجاز هذه المرحلة مستعينا بقوة الكلمة ، وبعلمه بحقائق الأمور ، وخفاياها ، فهو حين يحدث الملك لأول مرّة لا يهمل هذا الجانب المعرفي الذي ارتبط به ضعف الأسد والتباس أمره عليه ، فيركز في استعراضه المعرفي أمام الأسد على عمق فهمه لتلك العلاقة الدلالية المتناقضة القائمة بين (القوة والضعف) ، يقول مخاطبا الملك :-

« وليس أحد يصغر أمره، إلا وقد يكون عنده بعض الغناء والمنافع [٢] على قدره »

منبها الملك إلى قدرته وعلمه ومنفعته ، رغم ما يبدو من ضعفه الظاهر وملمحا لكشفه ضعف الملك رغم ما يبدو من قوته الظاهرة ، وأن الملك حقيق أن ينظر الى رعيته ، ويختبر ماعندهم من العلم ، فيتخير الفضلاء منهم ، ويقربهم إليه ، ويضعهم في المواقع الجديرةبهم ، لأن في إهمالهم عماية وضلالا . وقد قيل « أمران لا ينبغي لأحد أن يأتيهما : مثل أن يجعل الخلخال قلادة للعنق ، [٣] ومثل أن تجعل القلادة خلخالا في الرّجل » .

ولا يفوته في هذا المقام أن يشير الى صلاحه ، واستعداده لآداء هذا الدور ،بقوله :« إنّ كثرة الأعوان اذا لم يكونوا مختبرين ربما تكون مضرة على العمل ، فإن العمل ليس رجاؤه

---

(١) الكتاب نفسه ، ص ١٢٢

(٢) نفسه ، ص ١٢٨

(٣) نفسه ، ص ١٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بكثرة الأعوان ، ولكن بصالحي [١] الأعوان » .

ثم ينهي كلامه مع الملك مؤكدا على المدخل الذي ولج منه ، وهو فهمه لقضية القوة والضعف ، مخاطبا الملك بقوله :-

فأنت الآن أيها الملك حقيق أن لا تحقر مروءة أنت تجدها عند رجل صغير المنزلة ، فإن الصغير [٢] ربما عظم . . . »

وحتى يخفي الملك ضعفه يظهر معرفته بأبي دمنة ، غير أنّ دمنة يكشف أمام الحضور هذا الضعف مستعينا بفعل الكلمة مرة أخرى وبمعرفته بالتباس أمر الملك والجند ، مبيّنا :-

« أن السلطان لا يقرب الرجال لقرب آبائهم ، ولا يبعدهم لبعدهم، ولكن ينبغي أن ينظر الى كل رجل بما [٣] عنده » .

نجح دمنة بذلك في الاختبار الأول الذي أعدّه لنفسه وهو الوصول الى الأسد . الذي قرّبه بدوره إليه ، طمعا في نصحه ورأيه على ما بدا له منه.

ولكن إنجاز المهمة الصعبة يقتضي النجاح في الاختبارالداخلي الثاني وهو بلوغ المنزلة عند الأسد ،والذي لا يمكن أن يتحقق الا بنجاح دمنة في اختبارين جديدين خارجيين ، يقوم الأسد فيهما بدور « المُخْتَبِر» .

ويبتكر دمنة خطة محكمة للمرور بهذين الاختبارين ، معتمدا على قوته المتمثلة لديه بـ:- العقل ، الجهد ، الطبع ، والتوق للمغامرة .

الاختبار : - يحرض دمنة الأسد على اختباره ، اختبار القدره فيسأل الأسد عن سبب ريبته ، مظهراً النصح والمعرفة ، مضمرا رغبته في بلوغ المنزلة لديه ، وقد تزامن سؤال دمنة للأسد مع خوار الثور . ولكنّ الأسد وإن كره أن يخبره في البداية ، إلا أنّه تحت وطأة الانفعال والحاح دمنة على الرّبط بين ريبته وصوت الثور في سؤال استدراجي ليحمله على إظهار الأمر المكتوم .

---

(١) الكتاب نفسه ، ص ١٢٩

(٢) الكتاب ، ص ١٢٩

(٣) الكتاب ، ص ١٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاسترسل الأسد إليه دون اختبار ، فأطلعه على سرّه ، وهومقدار ما ناله من هيبة وريبة من صاحب الصوت ، حيث يبدو جهل الأسد ، وضعف رأيه أشد وضوحا في تأويله الخاطيء لقدرة صاحب الصوت المرتفع ،وفرقه منه ، حيث يقول :

« وقد صح عندي من طريق القياس أنّ جثة صاحب هذا الصوت المنكر الذي لم أسمعه قط عظيمة ، لأنّ صوته تابع لبدنه ، فان يكن كذلك فليس لنا معه قرار [١] ولا مقام »

حيث ظنّ الأسد أنه بنى استنتاجه على أساس علمي وهوالقياس .

ويفضح دمنة ضعف رأي الملك مرّة اخرى في إثبات أنّه ليس من كل الأصوات تجب الهيبة . وأن « أفشل الأشياء أجهرها صوتا وأعظمها [٢] جثة » . ويستعين بقوة الكلمة من جديد لاثبات ذلك عن طريق سرد مثل ، يؤيد مقولته ، معولا على حكمة القدماء في زعمهم حدوث ما سيرويه .

وفي الحكاية الفرعية التي يسردها دمنة للأسد [الثعلب والطبل] [٣]، يستبدل دمنة الأسد بنفسه أو بأحد أبناء فصيلته ، ليقوم بدور الظن أن في الطبل لحما كثيراً بسبب الجوع ، وارتفاع صوت الطبل ، ثم ليكشف حقيقته من بعد بالوصول إليه . وذلك في مقابل الاسد الذي يظن بسبب ضعفه أن وراء صوت الثور قوة وعظمة ، رغم أن الحقيقة ليست كذلك .

ويقيم دمنة مثل هذا الاستبدال الرمزي تأدبا منه أمام الاسد ، وليبعد عن نفسه الظنّة والشّبهة، بإبعاد الملك عن الشعور بالضعف أو الجهل . ولكنه في الوقت نفسه لا يدع الاسد يكشف هذه الحقيقة . حقيقة أنّ المظهر لايدل في الغالب على المخبر ، أو أن ظاهر الامور ، ليس مثل باطنها ، وإنما يجعل الثعلب يقوم بهذه المهمة في الحكاية الفرعية . مقربا بذلك أمام الاسد صورته العالمة بحقائق الأشياء ، والقادرة على كشفها ، إذ يكشف الثعلب خواء الطبل ، ممهدا دمنة بذلك للاختبار الذي سيطلب بنفسه من الأسد ان يختبره فيه ، باعتباره طالب الغاية (المنزلة)ومهيئا الأسد لقبول أدائه لهذا الدور .

خاصية جمالية : – وتبرز في هذا السياق خاصيّة جمالية ، وهي أن دمنة يسأل الملك عن سبب ريبته ، وهو يعلم أنه بسبب صوت الثور ، ولكنه لا يحدث الملك مباشرة عن معرفته بصاحب الصوت رغم علمه به ، وإنما يستحث الأسد على الرغبة في معرفة ذلك ، ليكلفه

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ١٣١

(٢) كليلة ودمنة ، ص ١٣٢

(٣) انظر الحكاية :– كليلة ودمنة : ص ١٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استطلاع أمر صاحب الصوت فيكون دمنة بذلك قد جعل الأسد يقوم باختباره دون أن يشعر ، بعد أن مهد لذلك عن طريق سرد الحكاية .

على أنّ الامر لم يكن عند الأسد ، كما حسب دمنة وتوهم إذ لم يلبث الأسد أن راجع نفسه ، بشأن تفريطه في إرسال دمنة وندم على سرعة استرساله إليه ، وإطلاعه على سره بالثقة فيه وائتمانه ، وهو لم يختبره بعد . حيث يبرز الصراع في نفس الملك ضعف رأيه من جديد ، وإفراطه في الثقة بنفسه ، وجهله للدور الذي قد يؤديه الأعوان الصالحون ، حين خلص من حيرته إلى فهم يكشف عن شخصيته بقوله :

« لقد كان الواجب أن أهجم على صاحب هذا الصوت بنفسي [1] »

على أنّ دمنة بدهائه أنسى الأسد الظّن به حين عاد يطمئنه بشأن الثور ، ويورّط الأسد مرّة أخرى في اختبار جديد ، يتمثل في مقدرته على جلب الثور ، هو اختبار القدرة .

وتكتمل في الحوار بين الأسد ودمنة الخاصية الجمالية السابقة ، حين يخبر دمنه الأسد أنه حاور الثور محاورة الأكفاء ولم يستطع له شيئا ، ونلاحظ هنا المقابلة بين حجمه وحجم الثور، وحجميهما معا أمام الأسد ، حيث جعل دمنة من نفسه البطل الأول فيقف أمام الأسد الخائف من خوار ثور ، وأمام الثور الخائف من الأسد الذي يقف وراء دمنة.

ويمهد دمنة بذلك للدور الجديد الآخر الذي سيؤديه في الاختبار ، حيث تصبح المفارقة اشد وضوحا .

ميثاق الحماية :-

لقد أدرك دمنة منذ البداية أنه كي يستطيع جلب الثور لا بد له من توظيف علمه على أكمل وجه . وهذا العلم لا يمكن أن يؤدي دوره إلا باستثمار القوة الكامنة فيه ، ولكن دمنة يحتاج في موضوع الثور إلى قوّة الأسد التي تقف جبارة عظيمة أمام الثور الضعيف بحكم الطبيعة والموقف. ٤٣٢٢٤٢

على أنّ دمنة لم يلبث أن استثمر قوة الأسد لصالحه : لصالح موقفه ، أمام الاسد وأمام

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ١٣٤

ميثاق الحماية : وتضمن عدم التكافؤ بين الطرفين وجهل كل منهما بطبيعة الآخر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثور ، اذ يعرض على الثور العهد والميثاق بالأمان ، إن قبل المجيء معه ، وبموافقة الثور يكون دمنة قد نجح في الاختبار الثاني أمام الأسد كما ضمن صكا يؤكد قوّته ، ويحفظ له في الوقت نفسه صداقة الثور .

لقد تم التعاقد بين دمنة والثور ، بيد أن دمنة قام بدور الوسيط أو ممثل الأسد ، في هذا العقد، وبذلك يصبح العقد مركبا ، تتمثل وحدته من جوانبها المختلفة في مستويين : -

١- المستوى الظاهر :-

الطرف الأول	موضوع التعاقد	الطرف الثاني
دمنة	العهد والميثاق بالامان مقابل الانتقال من المرج الى أجمة الأسد	الثور

٢- المستوى الباطن : -

الطرف الاول	موضوع التعاقد	الطرف الثاني
الاسد	العهد بالأمان مقابل الانتقال الى الأجمة	الثور

وقد قام دمنة في هذا العقد بدور الوسيط .

وبذلك يكون العقد (الميثاق/ العهد) قد تم فعليا بين الأسد والثور ، ولكن الجانب المخفي في الأمر أن أحدا لم يبلغ الثور بصورة العهد الفعلية .

إنّ وساطة دمنة تضمنت تقريبا بين المستوى الأدنى في المجتمع (الضعيف) ، والمستوى الأعلى منه (القوي) والتي تمثلت على المستوى الاجتماعي : -

بالانتقال من المرج الى الأجمة .

إنّ انتقال الثور من المرج الخصيب الى أجمة الاسد فعل سلبي باعتبار أن الأجمة دلالة رمزية لطبقة عليا ، تمثل عالم الوحوش البرية، في حين أن المرج دلالة رمزية لطبقة أقل من الأولى ويمثل عالم الراحة والرعي . ويحمل هذا الانتقال السلبي سمة المخاطرة نظرا لافتقاده الى الرعاية والحماية لاشتماله على الأذى والضرر اللذين قد يجيئان من عالم الاجمة حيث يعتبر العبور إليه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعرضا للخطر والموت ، إنه الحد الفاصل بين مجتمع العيش والأمان من ناحية، ومجتمع الموت والدمار من ناحية ثانية ، إن سلبية الانتقال تطغى على ايجابيته ، لذا اقتضى العهد والميثاق بالأمان .

تمثل الأجمة من وجهة نظر مورفولوجية مثوى (الأسد – الملك) الشخصية التي تملك القرار والقدرة المطلقة على الفعل . .

أما من وجهة نظر واقعية ، فإنّ هذه الأجمة البعيدة عن المرج ، وعن الناس ،تشير الى خصائص ساكنيها وامتناعهم وتفردهم ، وصعوبة الوصول اليهم . فالثور احتاج الى ناقل يحمله الى ذلك المكان ، حيث يمكننا بذلك ان نفهم قول دمنة في حواره مع كليلة : « إن خصالا ثلاثا لن يستطيعها أحد الا بمعونة من علو همة وعظيم خطر ، منها : صحبة السلطان ، وتجارة البحر ومناجزة العدو »[١].

الأجمة إذن تتوافر على دلالة متميزة تماما في مجرى الحدث ، فهي حامية أمن لمالكيها ، ولكنها تعد عاملا أساسيا من عوامل تهديد الأمن للقاطنين فيها أو خارجها إن لزم الأمر ذلك . لذا يطلب الثور ميثاقا بالأمان، شرطا لانتقاله إليها . وهي مكان مغلق حتى على أصحابه (ساكنيه).

الأسد مثلاً لم يستطع أن يعرف طبيعة صاحب الصوت بدون مساعد أو معين ، يقدم له هذه الخدمة ، وينقل الصورة على حقيقتها .

هذا المساعد الذي يمتلك بالضرورة ميزات او خصائص تمكنه من الربط بين العالمين (الاجمة ، المرج) ، وابن آوى خير من يمتلك مثل هذه الميزة ، باعتبار أنه (آكل لحم وفواكه) في الوقت نفسه ، فطبيعته تؤهله لاداء مثل هذا الدور[٢] . ولكن تبقى الطريقة في كيفية توظيفه .

وفي هذا إشارة إلى الدور الذي تضطلع به (بطانة الملك) – التي أمل دمنة أن يصبح واحدا منها – وما يتبع ذلك من صلاحها أو فسادها في قدرتها على تضليل الملك أو خدمته مما يؤثر على سير الأمور والحكم عليها بالنجاح أو الفشل .

---

(١) كليلة ودمنة :– ص ١٢٧ ،بيروت

(٢) يعد ابن آوى شخصية نمطية في القصص الشعبي للرمز للذكاء والخديعة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد نجح دمنة بجلبه الثور في الاختبار الثاني (اختبار القدرة) ولكنه لم ينل مكافأة هذا النجاح ،بمعنى أنه لم يبلغ المنزلة التي سعى إليها عند الأسد ، كما لم يعد يحتفظ بمنزلته الأولى التي بلغها لديه .

إن تضييع دمنة لمنزلته التي بلغها قبل مجيء الثور يجعلنا نضيف الى الاختبار كلمة « عكسي » . اذ بدلا من أن يرتقي دمنة بمنزلته عند الاسد وينال الحظوة لديه ، وقد اخرجه من الورطة التي حلت به، بل وجلب له صديقا نافعا ، بجعله مسبب الورطة عبدا مطيعا للملك ، أقصي دمنة بعيدا عن الأسد ، بسبب أن الأخير قرب اليه الثور ، وجعله صفيه « لما ظهر له من عقله وأدبه حتى صار اخص اصحابه [١] عنده منزلة » .

على أن بعدا جديدا قد طرأ على ما سعى اليه دمنة منذ البداية وهو التراجع أو التنازل بحيث انه لم يعد يمني نفسه ببلوغ المنزلة عند الأسد، بل انه يؤمل لو استطاع أن يعود إلى منزلته الأولى التي بلغها لديه ، لكن هذا لم يحدث بسبب غلبة الثور على هذه المنزلة عند الاسد .

لقد ادرك دمنة من خلال الحكاية الفرعية [الناسك واللص][٢] ، التي رواها له كليلة ، أنه وحده المسؤول عن فعله و عما جلبه لنفسه من ضر ، ففي الحكاية الفرعية :-

أعطى الملك لأحد النساك كسوة فاخرة ، فطمع فيها لص ، فأوهم الناسك أنه يريد صحبته ليتعلم منه، حتى اذا ما أمنه الناسك ،سرق الكسوة ومضى .

وكذلك فقد حظي دمنة بكسوة الأسد الفاخرة، وهي بلوغ منزلة لديه . لكن كليلة عد الثور ، اشد ذكاء من دمنة لأنه وافق على المجيء معه الى الاسد بموجب عقد ، رغبة منه في الوصول الى الاسد . مظهرا أنه مغلوب على أمره ، مضمرا أمر تلك الرغبة ، فيكون بذلك قد خدع دمنة وغلبه على منزلته عند الأسد بعقله وأدبه ، وإلا فبماذا يعلل تقريب الملك له؟. فيكون دمنة قد أضر نفسه بجلب الثور دون أن يشعر ، فيعترف بذلك لكليلة حيث يقول :-

« ألا تعجب يا أخي من عجز رأيي ، وصنعي بنفسي ، ونظري فيما ينفع الأسد وأغفلت نفع نفسي ،حتى جلبت الى الاسد ثورا غلبني على [٣] منزلتي » .

بيد ان كليلة الذي يفهم شروط السيادة جيدا ، لا يترك أمر اخيه يقف عند هذا الحد ، بل

---

(١) كليلة ودمنة : - ص ١٣٧ .

(٢) انظر الحكاية :- كليلة ودمنة ، ص ١٣٧، بيروت

(٣) كليلة ودمنة ، ص ١٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرسم في الحكاية نفسها الصورة القادمة التي ينبغي النظر فيها . ويقدم لدمنة تصوره بهذا الشأن من خلال تقليبه للحلول الممكنة التي تتردد في نفس دمنة إثر حيرته ، فينبهه الى أنه سيكون الجاني على نفسه إن لم ينسحب عائدا الى وضعه السابق قبل دخوله على الأسد ، فيؤكد كليلة بهذه الحكاية تنبؤه بفشل مشروع دمنة ، لأنه سيكون على كل الاحوال خاسرا .

وتبرز في هذا السياق خاصية جمالية منفردة ، اذ يضع كليلة دمنة في هذه الحكاية كما هو أمامه في الواقع ، يملك قرار التخلي عما سعى اليه كاملا ، فيجعله متفرجا حتى تلك اللحظة ، مثلما هو الناسك الذي خرج يطلب اللص سارق الكسوة ، فيمر في طريقه بعدد من المواقف لا يتدخل في أي منها إلاّ في اللحظة الأخيرة ليعلن أنه المسؤول عن إضاعة الكسوة وليس اللص.

وكما يقف دمنة مستمعا لكليلة ، يقف الناسك متفرجا في الحكاية على وعلين تناطحا «حتى سالت دماؤهما فجاء ثعلب يلغ في تلك الدماء ويتحكك بهما ويزاحمهما ، فغضبا منه وأقبلا عليه بنطاحهما [1] فقتلاه »

وبذلك يكون التوقع الأول الذي وضعه كليلة لدمنة إن قام بفعل الثعلب ،بالدخول بين الأسد والثور هو أنهما قد يتفقان عليه ويقتلانه ، فيكون هو الخاسر .

ونلاحظ هنا كيف أقام كليلة علاقة الأسد والثور في الحكاية الفرعية على التناطح والقتال وليس على المحبة .

ثم نزل الناسك ببيت امرأة استضافته وكان للمرأة جارية تؤاجرها ، وقد علقت الجارية رجلا تريد ان تتخذه بعلا لها وفي ذلك ضرر لمولاتها . التي لم يكن لها سبيل لمدافعته إلا الاحتيال لقتله ، فأسكرته حتى نام، ومن معه في البيت ،فوضعت سما في قصبة ، وحين أرادت نفخه في أنف الرجل ، بدرت من أنفه عطسه ، عكست السم الى حلقها فماتت ، وكان كل ذلك بعين الناسك وسمعه .

يمكننا فهم الاحتمال الثاني الذي قدمه كليلة لدمنة إن تصرف على غرار ما جاء في الحكاية ، من خلال فهم رموزها ، على النحو التالي :-

إن الجارية التي علقت الرجل ، وأضرت علاقتهما بالمرأة ، تمثل علاقة الأسد بالثور ،

---

(١) كليلة ودمنة :- ص ١٣٨، بيروت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانعكاس ضرر هذه العلاقة على دمنة .

وقد احتالت المرأة للرجل لتحتفظ بالجارية ، مثلما أن دمنة لن يفكر في الاحتيال للأسد لأنه يحقق له الفائدة والنفع ، ولكنه سيحتال لقتل الثور ليحتفظ بالأسد . فإن فعل دمنة ذلك مستغلا سكرة الثور بقربه من السلطان وبلوغه المنزلة لديه ، فإن كليلة يحذره من أنه سيكون هو الخاسر المصروع ، بسبب أن قوة الثور تفوق قوته ، فأية مبادرة من الثور قبل أن يتم حيلته قد تقضي عليه .

إن تقديم كليلة للثور على دمنة في الذكاء ، وحسن الرأي جعل دمنة يكتشف جنايته على نفسه .

بيد ان دمنة لم يستنفذ قوته بعد ، وقد زاده ماحدث عزما على التماس مخرج ، من المأزق الذي حلّ به ،كما لم يفقد أمله في التماس النفع السابق في العودة بمنزلته عند الاسد الى ما كانت عليه حيث يعمل دمنة على انجاز المهمة الصعبة مجددا ولكنه في هذه المرة يستعين بقوة جديدة هي : قوة الحيلة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيلة دمنة (الوقيعة):-

قرر دمنة الاحتيال لهلاك الثور ،وبما ان هذه الخطوة ستكون حاسمة في نتائجها لصالح أحد الطرفين (دمنة أو الثور) فإن خيار دمنة هذا يكشف عن طبعه الذي يهمنا فهمه ، لأن دراسته من خلال فعل الحيلة ، يظهره جليا في مستوييه الظاهر والباطن كما يكشف لنا أبعاد التحول في صورة المعتدي الشرير الذي لبس قناع الصداقة ليحقق أغراضه .

إن حيلة دمنة للخلاص من الثور باعتبارها الاساءة الفعلية الأولى في الحكاية ، مرّت في مراحل عدّة نجملها بـ:-

-التمهيد للإساءة : -- لقد مهّد دمنة للإساءة بالخطوات التالية :-

- ترك الدخول على الأسد والثور أياما كثيرة ، أي انقطع عن زيارتهما ، ليفتقداه ، او على الأقل يحسان بغيابه .
- حين زار الملك بعد الغياب ، أتاه على خلوة ، ليتسنى للملك سؤاله عن غيابه ، بسبب تفرغه له ، او عدم انشغاله بغيره .
- استثار فضول الملك لمعرفة سبب غيابه ، بأجوبته المقتضبة عن الاسئلة التي كان الملك يوجهها إليه .
- استثار حس الأسد لمعرفة سبب غيابه الفعلي ، بوصف (الكلام) الذي انتهى إليه ، وبسببه غاب بالفظاعة .
- جعل الملك يطمئن اليه ، حين ذكّره بنصحه ، وإيثاره له على نفسه، ملمحاً لموقفه السابق في قضية استطلاع امر الثور وجلبه .
- في حين جعل الثور يظن أنه سيبلغه سبب ريبته من السلطان بسبب خوفه عليه ، وقضاء لحق صداقته معه ، بموجب ما كان بينهما من العهد والميثاق ، وذلك ليحتال الثور لأمره قبل أن يفوت الأوان . بعد أن مهد لذلك بالحديث عن القدر ، وعدم القدرة على مغالبته وعن قلة وفاء السلاطين ، وخطورة صحبة الاشرار.

- لقد اظهر دمنة للملك أنه يرى فيه حسن العقل والفضيلة والرأي . وأن العاقل يحمل القول الناصح وإن كان مؤلما على عمل المحبة فينتفع به ، وأن فضيلة الملك

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورأيه يدلانه على أن دمنة مكره على هذا القول ،ولكنّه لا يستطيع أن يكتبم الملك مثل هذا القول لأنه المخلص الصّفي ، ولأن عظمة الملك ، وقوة حضوره في نفوس جنده وتعلقهم به لسمو منزلته يجعلانه لا يستطيع كتمان الملك نصيحته ، وبذلك فقد مهد دمنة للاساءة التي أعدها أن ، جعل الأسد والثور يطمئنان له ، ويقدران عظيم نصحه ، باعتبار أن الفعل ، الذي سيؤديه ، يمثل له واجبا اخلاقيا ، مفروضا عليه تأديته .

- بموجب ذلك حصل دمنة على إذن مسبق من الاسد لاتيان الثور بحجة التجسس لصالح الأسد .

ملاحظة ختامية :- لقد ركّز دمنة في تمهيده للإساءة على السمع والبصر، فالأمر الذي سبّب غيابه كلام فظيع سمعه ، من أمين صدوق ، لا مرية فيه ، وقد أظهر للطرفين في سبيل إثبات صدق نصحه، الاكتئاب والأسف والحزن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التّحريض :- قام دمنة بتحريض الاسد على الثور ، واغرائه بدمه ، بناء على ادعاءات كاذبة ، هي :-

١- أنه استقى الخبر الذي سينقله او نقله للملك من مصدر موثوق عنده ، بقوله « حدثني الأمين الصدوق [١] عندي ..»

٢- ادّعى دمنة أن الثور قد خلا برؤوس جند الملك ، وحرضهم على الملك لما بلاه من ضعف رأيه ،ومكيدته [٢] وعجز قوته .

٣- بين دمنة للأسد - باعتباره ناصحا - أن خيانة الثور قد حدثت بسبب إكرام الملك له الكرامة كلها . لأن الثور ظن بسبب هذه الكرامة أنه ساوى الملك في منزلته ، فأصبح ينافسه عليها .

لذا فإن الملك حقيق بصرعه ، واستئصال دائه قبل استفحال خطره ، ذلك لأنه كان يقال : « اذا عرف الملك من أحد رعيته أنه قد ساواه في المنزلة والحال فليصرعه ، فإن هو لم يفعل به ذلك ، كان هو المصروع[٣] »

فعلى الأسد أن يسرع في تصفية الثور الخائن لأنه خصم عاقل ، أعلم بالأمور وأبلغ فيها والعاقل هو الذي يحتال للأمر قبل تمامه ووقوعه . فإنه يقال « الرجال ثلاثة : حازم ،وأحزم منه، وعاجز . فالحازم من إذا نزل به الأمر لم يدهش له، ولم يذهب قلبه شعاعا ، ولم تعي به حيلته ومكيدته التي يرجو بها المخرج منه،وأحزم من هذا المقدام ذو العدة الذي يعرف الابتلاء قبل وقوعه ، فيعظمه اعظاما ،ويحتال له حيله حتى كأنه قد لزمه فيحسم الداء قبل أن يبتلى به ، ويدفع الأمر قبل وقوعه . وأما العاجز فهو في تردد وتمن وتوان حتى [٤] يهلك ».

وقد استعان دمنة على تمكين ذلك في نفس الملك بسرد حكاية ، تؤيد ما أكد عليه من ضرورة الاسراع بإنهاء أمر الثور .

ففي الحكاية الفرعية [السمكات الثلاث][٥] ، تقع السمكة العاجزة في شباك الصيادين، بينما تنجو الكيسة بعد عناء وتعب ، أما أكيسهن فنجت بنفسها لإسراعها بالخروج من الغدير الى

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ١٥٥، بيروت

(٢) كليلة ودمنة ، ص ١٥٥ ، بتصرف ، بيروت

(٣) كليلة ودمنة ، ص ١٥٦

(٤) كليلة ودمنة ، ص ١٥٦-١٥٧

(٥) انظر الحكاية :- كليلة ودمنة ، ص ١٥٧ ، بيروت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النهر قبل مجيئهما .

إن الوقوع في شبكة الصياد ، يعني الوقوع في ورطة قد تنتهي بالموت ،على أن موقف السمكات الثلاث ، وتلك المقابلة بين الغدير والنهر ، تجعلنا نقيم بنية الحكاية ، على تلك العلاقة الدلالية المتناقضة بين (السكون والحركة) . فقد استسلمت العاجزة للموت أما الكيسة فقد بقيت تتحرك كما تقول الحكاية « منقلبة على ظهرها تارة ،وتارة على [١] بطنها » ، وقد تظاهرت بالموت ، تتنازعها قوتا الحركة والسكون ، وقد نبأت عن ذلك عبارة « فوضعاها على الأرض بين النهر [٢] والغدير » بيد أنها كانت الى الحركة أميل بوثوبها الى النهر ، نتيجة التماسها لمنافع الرأي والجهد ، حتى نجت بنفسها .

على أن ما يهمنا هو موقف أكيس السمكات ، التي نظرت في الأمر قبل وقوعه ، فأسرعت بالتماس النجاة لنفسها فلم تعرج على شيء – منذ سمعت قول الصيادين –حتى خرجت من المكان الذي يدخل فيه الماء من النهر الى الغدير [٣] . فكان لها ما أرادت .

تنضوي تحت هذه الحكاية التي رواها دمنة للأسد في هذا الموقف ، الاشارات الدلالية التالية :–

١– إن شبكة الصياد هي الخطر الذي يهدد الأسد من قبل الثور .

٢– أن الاسد ليكون . من أحزم الرجال ، عاقلا ، غير عاجزعليه أن يعمل لينجو بنفسه، بالاحتيال للأمر ، قبل وقوعه ، ولا يمكن أن يتم هذا إلا بسرعة الإجهاز على الثور قبل أن يظهر خطره ، ذلك لأن ملكه بات مهددا ، بمعنى أن وجوده أصبح عرضة للزوال .

٣– إن النهر يعني مجرى الحياة المتدفق الواسع ، والخروج إليه من الغدير – الذي يعني الانغلاق الجزئي ، لأنّ فيه مكانا يدخل منه الماء من النهر – يقتضي الحركة ، والحركة لا تكون بغير القوّة . ذلك لأنها تناقض السكون الذي يعني الاقتران بالموت .

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ١٥٨

(٢) نفسه ،ص ١٥٨

(٣) نفسه ،ص ١٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورغم أن دمنة أحكم بناء حيلته لتحريض الأسد على قتل الثور ، وحثه على الاسراع في ذلك ، إلا أن الأسد لم يصدق أن الثور قد يغشه أو يرجو له الغوائل ، لأنّ فضائله عليه كثيرة ، كما لم يسيء له من قبل ، ولكن دمنة الذي لم ييأس من تحقيق ذلك ألح على تحريض الأسد على الثور . إذ كشف في الحجج التي قدمها للأسد عن شخصيته وطبعه ، في لؤمه وفجوره ، يقول ويقصد الثور ممعنا في تحريض الأسد على قتله :-

« فإن اللئيم الفاجر لا يخدم السلطان ولا ينصح له إلا من فرق أو حاجة ، فاذا استغنى وذهبت الهيبة والحاجة عاد الى جوهره [١] »

ثم يحث الملك على الامتلاء كرها للثور،امتلاء غير مباشر ، ليعجل في قتله ، يقول : « وأعجز الملوك آخذهم بالهويناء ، وأقلّهم نظرا في مستقبل الأمور [٢] » . « كما أنّ من لم يقبل من نصحائه ما يثقل عليه مما ينصحون له ، لم يحمد غب رأيه [٣] ».

بيد أن الأسد ، وقد أحسّ دمنة يغلظ في القول ، أشار الى قبول قوله فقط، لأن قول الناصح مقبول محمول ، على أنه حاور دمنة بهذا الشأن معتمدا على قوة عقله :-

- فالثور لن يستطيع أن يضره بحكم قانون القوة والضعف .
- كما أن الطريق مسدود أمام الأسد ، فكيف يغدر بالثور ، بعد الأمان الذي جعله له من نفسه ، وبعد مدحه له أمام الجند ، فإنه إن فعل ذلك يكون قد سفّه رأيه ، وجهل نفسه ، وغدر بذمته[٤] ، ونقض عهده .

ولكن دمنة إمعانا في تثبيت حجته يتجاوز العهد والميثاق . بالحاحه على قضية (القوة والضعف) . فيعد الثور أقوى من الأسد بقوة علمه ورأيه وحيلته . ثم يؤيد حجته بحكاية تمثيلية تكشف عن أنّ « صاحب الشر لا يسلم من شره أحد ، وإن هو ضعف عن ذلك جاء الشر بسببه[٥] » .

قال دمنة مخاطبا الأسد : « لا يغرنك قولك هو لي طعام وليس عليّ منه مخافة ، فإنّ شتربة

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ١٥٩ ، بيروت

(٢) نفسه ، ص ١٦٠

(٣) نفسه ، ص ١٥٩-١٦٠

(٤) نفسه ، ص ١٦١ ، بتصرف

(٥) كليلة ودمنة ،ص ١٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن لم يستطعك بنفسه ، احتال لك من قبل غيره [١] ». لذا وجب القضاء عليه بسرعة . فربما حدث للأسد مثل ما حدث للقملة التي استضافت برغوثا في فراش أحد الأغنياء ، فلدغ الرجل صاحب الفراش ، وطار ، فوجدت القملة فقصعت [٢] .

ودمنة في هذا المثل [القملة والبرغوث] يعد الثور بمنزلة البرغوث الذي أنكر نعمة الأسد عليه وإكرامه له ، فسعى لضرّه والقضاء عليه بدلا من شكره ، دون اعتبار لفضائله عليه .

وبذلك استطاع دمنة أن يوقع في نفس الأسد كراهية الثور ويحول ثقته به الى شك بصدقه وولائه، وإخلاصه ، كما حوّل رضاه عنه الى غضب وسخط . فقد تشبع الأسد بكلام دمنة ، ووقع في نفسه ما قال ، وما أخبره به ، قال الأسد لدمنة معبرا عن شعوره الجديد اتجاه الثور : « لقد تركتني أكره مجاورة شتربه إياي [٣].. »

على أنّ الأسد أرجأ البت في الأمر إلى حين التثبت منه ، برؤية شتربة ومحاورته ، ذلك لأن الملك « إذا عاقب أحدا عن ظنّة ظنها من غير تيقن لجرمه فنفسه عاقب ، وإياها ظلم ، وكان ناقص البصيرة [٤]»

وبنفس الطريقة حرّض دمنة الثور على الأسد ، وانتهى الثور بقرار عدم مقاتلة الأسد أو مناصبته العداء سرا ولا علانية ، أو التغير عما يحمله له من حب وود ، حتى يبدو له منه ما يتخوفه فيغالبه .

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ١٦١

(٢) كليلة ودمنة :- حكاية القملة والبرغوث ،ص ١٦٢

(٣) كليلة ودمنة ١٦٣

(٤) كليلة ودمنة ، ص ١٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنع : – بادر دمنة الى القيام بفعل المنع : – منع الأسد من لقاء الثور ومحاورته ومنع الثور من لقاء الأسد ومحاورته إلا بشرط :–

– ان يكون كل واحد منهما يقظا مستعدا للعراك ،خوفا من أن تصيبه غفلة او غرّة من صاحبه ، فينقض عليه ، فيهلكه .

وقد علل دمنة للأسد رأيه في عدم تأييده اللقاء بالثور بسبب أن الثور لا يعلم أنّ أمر غدره قد وصل للأسد ، فاذا علم ذلك لاقى الأسد مستعدا. وإن خيّره الأسد في أمره فارقه فراقا يليه منه النقص ويلزمه منه العار .

كان هذا هو السبب الظاهر ،غير أنّ السبب الحقيقي وراء منع دمنة الأسد من لقاء الثور أنهّ لم يكن قد أنهى مهمته بعد ، أي لم ينفذ الشق الآخر منها ، الذي لا تكتمل الحيلة إلا به ، وهو تحريض الثور على الأسد وإن كان دمنة يؤكد للثور من وقت لآخر أنه لا يرى القتال له رأيا ، وإنما عليه أن يجعله آخر الحيل فإنه أراد بذلك أن يحفز الثور ، ويجعله شديد القلق . ولمّا تيقن من ذلك أبطل منعه له من لقاء الأسد، بل وحثّه على الذهاب اليه ، ليكتشف بنفسه صدق نصيحته له وقد زاد تحفيز الثور بوصفه الحالة التي سيكون عليها الأسد ، والتي ستدعم حجته، وتؤكد صدق قوله .

تنبثق أهمية هذا المنع المشروط ، والذي ظهر في صورة نصيحة ، من الثنائية الدلالية المتناقضة التي قامت عليه ، والتي بني عليها فعل الإساءة ،وكانت سببا ودافعا رئيسيا لحدوثها ، كما ارتبطت بالعقل ارتباطا مباشرا ، لحدة كشفها عن عقلية الشخوص المعولين عليها ، وخصائصهم النفسية التي انفردوا بها وهي : –

(المظهر والمخبر) :– وينطوي هذا الجانب على فعل التغرير ، إذ غرّر دمنة بالأسد والثور باستخدامه أساليب قولية وفعلية ، في المشاهد الجريئة التي صورها لهما ، حين جعل دمنة لغدر الأسد بالثور علامات تظهرعليه وتنم عما في باطنه ، كما جعل لغدر الثور بالأسد علامات كذلك تعبر عنه . قال الأسد لدمنة :ـ « سأكون منه على حذر ،وإن رأيت منه ما يدل على ما ذكرت علمت أن ما في أمره شك [1] » .

فسيرى الأسد الثور حين يدخل عليه : هيئته متغيرة ، وأوصاله ترعد ، ملتفتا يمينا وشمالا ،

---

(١) كليلة ودمنة :– باب الأسد والثور ، ص ١٦٥، بيروت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصوّب قرينه فعْل الذي همّ بالنطاح والقتال [١] .

وقد فات الأسد أن هذا شكل الثور حين يعتريه الخوف الشديد ، ونلاحظ تكرار دمنة للأسد كلمة (ترى) ، فقد حدّد له ما سيرى . بينما حدّد للثور أنه سيرى الأسد حين يدخل عليه :- مقعيا على ذنبه ، رافعا صدره الى الثور ، مادّا بصره نحوه ، قد صرّ أذنيه ، وفغر فاه ، واستوى للوثبة [٢] .

قال الثور لدمنة : « إن رأيت هذه العلامات من الأسد عرفت صدقك في قولك [٣] » .

وبذلك فقد تحكّم دمنة في حاسة البصر لدى كل من المتحابين (الأسد والثور) ، وجعل كلا منهما يرى في صاحبه ، ما يريد دمنة أن يراه ، لا ماهو كائن في الحقيقة .

وذلك بعد أن حفّز الأسد والثور لتبدو عليهما هذه العلامات رغم أن باطن كل واحد. منها وحقيقة توجهه ليست كذلك .

فاستطاع بذلك تحييد عقل كل من المتحابين ، بحيث لا يتجاوز في فهمه غير الظاهر من الامور.

ان ظهور العلامات على كل من الطرفين عامل حاسم في قيام الصراع الفعلي بينهما ، وإنهائه لصالح أحدهما هو القوي فيهما بالطبع .

الإساءة : -

لقد قتل الأسد الثور بناء على ما ظهر عليه من العلامات التي حددها له دمنة . وبذلك يكون الأسد (المعتدي الثاني)بعد دمنة (المعتدي الأول) [٤]، باعتباره المحرض على فعل الشر .

اكتشاف الإساءة :-

* **دخول المساعد الاول إلى مسرح الاحداث** : لقد كان النمر من أخص اصحاب الاسد لديه بعد الثور . فاتفق أنّه امسى ليلة عند الأسد ، ثم خرج من عنده في جوف الليل يريد منزله ، مارا ببيت كليلة ودمنة ، في الوقت الذي كان فيه كليلة يوبخ دمنة على خيانته

---

(١) كليلة ودمنة :- ص ١٦٤ - ١٦٥ ، بتصرف .

(٢) كليلة ودمنة :- ص ١٨٤ ، بتصرف

(٣) كليلة ودمنة :- ص ١٨٤ .

(٤) يعد دمنة المجرم الحقيقي لاشتمال فعله على عنصري : العلم والإرادة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له وللأسد والثور ، ويعلن قطيعته له لقول العلماء : « تباعد ممن لا رغبة لك فيه »[١] .

إن الحوار الذي سمعه النمر بين كليلة ودمنة يمثل عنصر وصل أدى الى اكتشاف الإساءة.

لقد ترتب على اكتشاف الإساءة ، القيام بمهمة صعبة هي مهمة إصلاحها والتي اقتضت تشكل **منظومة إخبارية** بين الأطراف المتصارعة على النحو التالي :-

- **الاخبار الأول** :- وقد تضمن (ميثاقا وعهدا) ،أخبر فيه النمر (أم الاسد) بما سمع من كلام كليلة ودمنة اي بأمر الإساءة ، بعد أن أخذ عليها العهود والمواثيق أن لا تبوح بما يسر إليها ، فعاهدته على ذلك ، حيث يمكن تمثيل وحدة التعاقد على النحو التالي :-

الطرف الأول	موضوع التعاقد	الطرف الثاني
النمر	الإخبار بالسر ، شريطة عدم البوح به، أو بناقله،	أم الأسد

لقد كانت نتيجة هذا التعاقد إيجابية بسبب وفاء المساعد الثاني [٢] (أم الأسد) بالعهد ، حين طلبت من ابنها (الأسد) أن يراجع نفسه بشأن قتل الثور دون أن تخبره بما علمت من النمر ، متمثلة بقول العلماء : « إن أحمد الناس عاقبة في الدنيا والأخرة أكتمهم للسر [٣] » .

- **الاخبار الثاني** : - وتضمن حلا لجزء من الميثاق بسبب مقولة للأسد ، الذي ردّ على مقولة أمّه بأن أقوال العلماء لها وجوه كثيرة ، ومعان مختلفة ، فإنهم قد قالوا أيضا : « من اطلع على ذنوب المذنبين فكتمها عن السلطان فلم يعاقبوا على ذنوبهم عوقب هو يوم القيامة» [٤] وبذلك فقد اخبرته أم الأسد بعد أن ألحّ عليها ، بجميع ما ألقاه إليها النمر من غير أن تخبره باسمه ، لتبين في الوقت نفسه أنها لم تجهل قول العلماء في تعظيم العقوبة وتشديدها ، وما يدخل على الرجل من العار في إذاعة الأسرار ،ولكنها أرادت أن تخبره بما فيه المصلحة [٥] له . فقد قالت العلماء : « إن فساد عامة الاشياء يكون من حالتين : إحداهما إفشاء

---

(١) كليلة ودمنة : باب الأسد والثور ، ص ٢٠٠ بيروت

(٢) بموجب ظهورها في الحكاية بعد النمر . ولكنها في الحقيقة تصدرت المساعدين بفعل توجيهاتها الحكيمة . وهي التي قامت بتحفيز مهمة إصلاح الاساءة

(٣) كليلة ودمنة : ص ٢٠٢

(٤) نفسه ، ص ٢٠٢

(٥) نفسه ، ص ٢٠٢ ، بتصرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السر ، والأخرى ترك عقوبة من يستوجب [١] العقوبة » . فارتأت أن إفشاء السر خير من أن يبقى على الخائن دمنة فلو كتم أمره لنجا من العقاب على فعله ولخيف منه أكبر من هذه الفعلة من عمله ، وقد أمر العلماء بالعفو عن الجاني والصفح عن المذنب ، ولكنهم قد نهوا عن اغتفار الجرم العظيم والذنب الكبير [٢] » .

– **الإخبار الثالث** : (إعلان خبر الإساءة) :– وفيه استدعى الأسد اصحابه وجنده ، وأمر أن يؤتى بدمنة ، حيث تولت أم الأسد إخبار الحضور بأمره من خلال حوارها معه ، إذ تصدى للدفاع عن نفسه محاولا إقناع الأسد والحضور ببراءته ، ثم ذكر الأسد أنه قتل الثور بعد أن استدل على خيانته وغدره من العلامات التي كان قد وصفها له من قبل ، وظهرت على الثور فاستحق بموجبها الموت .

فلما وصل دمنة الى ذلك من كلامه أمر الأسد أن يخرج من عنده حتى ينظر في أمره ليجتهد في الفحص عنه لئلا يعود إلى العجلة والندامة ،ذلك لأن « كثرة البحث عن الأمور تحق الحق وتبطل الباطل » [٣] . ثم أعلنت أم الأسد للحضور ، أنّ العلماء منهم هم الذين يوضحون أمره بفصل الخطاب . فاقتيد دمنة إلى السجن .

– **الإخبار الرابع** : وتضمن ظهور مساعد جديد هو الفهد المسجون الذي استمع لمحاورة كليلة ودمنة في السجن فحفظها وكتمها ليشهد بها إن سئل فيها . فقد اخبر كليلة أنّ دمنة مسجون ، فأتاه مستخفيا ، ولما رأى ما هو عليه من ضيق القيود وحرج المكان بكى ، ثم انبه على استعماله الخديعة والمكر ، واضرابه عن العظة والنصح ، وتفرده برأيه ، فعد نفسه بذلك بريئا منه . قال « ولو كنت قصّرت في عظتك حين كنت في عافية ، لكنت اليوم شريكك في ذنبك ، غير أن العجب دخل منك مدخلا قهر رأيك ،وغلب على [٤] عقلك » . فاعترف دمنة لكليلة أنه قد عرف الآن صدق مقاله . ولكنه يهتدي بقول العلماء : « لا تجزع من العذاب اذا وقفت منك على خطيئة ،ولأن تعذّب في الدنيا بجرمك خير من أن تعذب في الآخرة بجهنم[٥] مع الإثم »

---

(١) كليلة ودمنة :– ص ٢٠٢ – ٢٠٣

(٢) كليلة ودمنة :– ص ٢٠٣

(٣) كليلة ودمنة :– ص ٢٠١ .

(٤) كليلة ودمنة :– ص ٢١٢

(٥) كليلة ودمنة :– ص ٢١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– **الإخبار الخامس** :– وفيه عهد الاسد للنمر صاحب القضاء . وللجواس العادل (عمه) بالجلوس في موضع الحكم والمناداة في الجند صغيرهم وكبيرهم أن يحضروا ، وينظروا في حال دمنه ، ويبحثوا في شأنه ، ويفحصوا عن ذنبه . فأخبر سيد الجمع الناس بذلك وطلب منهم ألا يكتموا ما عرفوا من أمر دمنة، لأنّ : « من أعظم الخطايا قتل البريء الذي لاذنب له بالكذب والنميمة [١] » . ولأن « المذنب اذا اعترف بذنبه ، كان أسلم له ، وأحرى بالملك وجنده أن يعفوا عنه ويصفحوا [٢] » ، لأن في ذلك عبرة هي : « ترك مراعاة أهل الذّم والفجور ، وقطع اسباب مواصلتهم ومودتهم عن الخاصة [٣] والعامة » .

وقد قيل :« إنّه من كتم شهادة ميت ألجم بلجام من نار [٤] يوم القيامة » .

– **الإخبار السادس** : – أمر الأسد النمر والجواس العادل أن يثبتا قول دمنة وغدره في كتب القضاء ، ويرفعا ذلك اليه . فكانا يخبران الأسد ما يجري معهما يوما فيوما .

– **الإخبار السابع** : – قام بدور (المخبر) هنا مساعد جديد هو شعهر كان الاسد قد جربه، فوجد فيه أمانة وصدقا فرتّبه في خدمته ، وأمره أن يحفظ ما يجري في مجلس القضاء ويخبره به ، فكان يفعل ذلك . وقد أخبر هذا الشعهر الأسد بما كان من أمر سيد الخنازير مع دمنة ،حين ذمه دمنة وعيره فكان كشف دمنة لحقيقة صفاته ، سببا في عزل الملك له .

– **الإخبار الثامن** :– وهو الإخبار العكسي الوحيد الذي لم يعمل المخبر فيه لصالح الأسد ، وإنما لمصلحة دمنة ، بعد أن تألفه الأخير بالمال وهذا المخبر شعهر يقال له (روزبة) ، أخبر دمنة بموت كليلة فطلب منه دمنة أن يتفرغ لشأنه ، ويصرف اهتمامه إليه ، فيخبره بكل ما يذكر به عند الأسد ، وما يبدو من أم الأسد في حقه ، ثم ما يرى من متابعة الأسد لها ومخالفته إياها في أمره ، وذلك لأنّه أقدر من غيره على الدخول والخروج على الأسد . فوافق الشعهر وأخذ المال وانصرف عن دمنة على هذا العهد ، فانطلق الى منزله ووضع المال فيه ، وبذلك يكون دمنة قد عقد عقدا جديدا هو عقد سوء النية دفع فيه المال مقابل الحصول على الاخبار (التجسس لمصلحته). ويمكن تمثيل هذه الوحدة على النحو التالي :–

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ٢١٥

(٢) كليلة ودمنة ، ص ٢١٥–٢١٦

(٣) كليلة ودمنة ، ص ٢١٦

(٤) كليلة ودمنة ، ص ٢١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطرف الاول	موضوع التعاقد	الطرف الثاني
دمنة	استيفاء المال مقابل الإخبار عما يجري في مجلس الأسد بحق المتهم (دمنة)	الشعهر روزبة

لقد كانت نتيجة هذا التعاقد في ظاهرها ايجابية ، إذ وفى الشعهر لدمنة بذلك ، ولكنها في الحقيقة سلبية ، لأنّ في ذلك خيانة للأسد الذي جعله من جلسائه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إصلاح الإساءة :- تمثلت خطوات إصلاح الإساءة بـ:-

١- البدء بإصلاح الملك :- وتولت هذه المهمة أم الأسد ، التي عزمت على إقرار الحق وإبطال الباطل فألهمت الأسد الاستفادة من تجربته الصعبة ، فأعانته بتشجيعها له ، ووقوفها إلى جانبه على وضع الأمور في نصابها بالاستعانة بالأعوان المخلصين ، وقد بان أثر ذلك في أفعال الملك حين بدأ يقيّم أعوانه بناء على مايصح مما يرد إليه عنهم ، فَيُبْعِدِ مَنْ لا يصلح للقرب منه (مثلما حدث من إقصائه لسيد الخنازير » . ويتخير الفضلاء منهم ، ويعهد إليهم في مهماته السريّة مثل الشعهر الأمين .

٢- إقامة المحكمة :- وقد شكلت المنظومة الاخبارية بندا أساسيا من بنود إصلاح الإساءة ، إذ تضمنت أمر الملك بإقامة المحكمة للفحص عن أمر دمنة « فإذا استوجب القتل فالتّثبّت في أمره أولى ، والعجلة من الهوى ، ومتابعة الأصحاب على الباطل [١] ذل » .

وكان دمنة قد تقدم إلى الملك برجاء التّثبّت من أمره . وقد قامت حجته في إصراره على ذلك وإرهاب الآخرين من التّدخل بأمره على :-

١- أن الباطل قد يتلبس بالحق حتى يتشابها ، فربما كان غيره من سعى بالوشاية من حيث أنّهم لم يتثبّتوا في الأمر . وقد سردلذلك مثل [المرأة والمصور والعبد[٢]] ويحذر فيه من مغبة الحكم دون تثبت أو روية ، كما يؤكد في الوقت نفسه على حاستي السّمع والبصر ، فقد يكون ما سمع الأشهاد كذبا وزورا ، كما قد يكون ما رأوا – إن كانوا رأوا شيئا – قد التبس عليهم ، كما قد يتلبّس الباطل بالحق ، والظاهربالباطن فظنوّه على صورة ما ، وهو في الحقيقة ليس كذلك ، لذا استوجبت الشهادة التيّقن والإثبات ، والاّ فالعقاب في الدّنيا والاخرة .

وما دام دمنة قد روى حكايته هذه للأسد فإنه يلمح له بوجه آخر، أنه كان يستحق المكافأة على فعله لا أن يساء به الظن ، ولكنه كشف في الوقت نفسه عن فهمه الحقيقي للعلاقة الضدّية القائمة بين الظاهر والباطن ،والمظهر والمخبر ، التي كان قد ضلل الملك بموجبها .

---

(١) كليلة ودمنة :- ص ٢١٥.

(٢) كليلة ودمنة :- ص ٢٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإذا كانت الشهادة سمعية وبصرية ، إذ يتم العلم بالرؤية والسماع ، فإنّ دمنة بذلك قد شهد على نفسه بتغرير الأسد والثور .

٢- أن عاقبة من يشهد بما لم ير ، ويقل ما لا يعلم هي الموت ، وروى لذلك مثل [المتطبب الكاذب (١)] . وفيه يحذر الحضور من الزلة بالخروج عن الحد بالقول والعمل ، وقد قالت العلماء « ربما جزي المتكلم بقوله (٢) » . وهو يحاول بذلك ترهيب الناس من الإقدام على الشهادة أو المشاركة فيها ، لئلا يؤدي ذلك إلى كشف الأمور على حقيقتها .

٣- أن لكل كلمة عنده جوابا ، لذا دعا الجميع الى التّكلم بما علموا ، فيروي لسيّد الخنازير (مثلا) يرد به عليه حين استدلّ سيّد الخنازير على فجوره بصفاته الظاهرة ، وهو مثل [الرجل والمرأتين (٣)] ، وفيه ينتقد دمنة سيد الخنازير من حيث أنّه – لصفاته الظاهرة أيضا (٤) – لا يصلح حجّاما لعامي فضلا عن خاص خدمة الملك . قال دمنة : « أيّها القذر ذو العلامات الفاضحة القبيحة ، العجب من جرأتك على طعام الملك وقيامك بين يديه . مع ما بجسمك من القذر (٥) والقبح » ثم شتمه وأقذع له القول .

وقد كان سيد الخنازير قد ذمّ دمنة بقوله « إن العلماء قد كتبوا أنه من كانت عينه اليسرى أصغر من عينه اليمنى وهي لا تزال تختلج ، وكان أنفه مائلا إلى جنبه الأيمن ، فهو خبيث جامع للخب والفجور (٦) » . وكان دمنة على هذه الصفة .

وقد عد دمنة نفسه بذلك بريئة من فعله إن كان الحضور سيقيسون الكلام على ما ذكر سيّد الخنازير ، ويتركون العلم الذي يعد الانسان مسؤولا عن فعله ، كما أنّ ظاهر الأمور لا ينم عن باطنها ، وبذلك فإنّه يثبت الحجة على نفسه مرّة أخرى في تضليله الاسد بما وصفه له من العلامات التي تؤكد خيانة الثور وغدره . يقول دمنة بهذا الشأن « فان كان يزعم أنّ ما في جسمي من هذه العلامات هو الدليل على صدق ما رميت به ، فإني إذن أكون قد وسمت

---

(١) كليلة ودمنة : ص ٢١٦

(٢) كليلة ودمنة : ص ٢١٨

(٣) انظر الحكاية : كليلة ودمنة : ص ٢٢٠

(٤) يذكرنا هذا بعلم الفراسة عند العرب وهو : علم الاستدلال بهيئة الشخص وأعضائه على أخلاقه وصفاته .
انظر : – لويس معلوف : المنجد في الأدب واللغة والعلوم .

(٥) كليلة ودمنة ، ص ٢٢١ .

(٦) كليلة ودمنة :– ص ٢١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسمات وعلامات اضطرتني إلى الإثم فعملت بها ماعملت ففي ذلك براءة لي وعذر[١] مما عملته» ثم طلب من الحضور تدبّر ذلك بعقولهم .

٤- إنّ عاقبة من ادّعى ما لا يعلم ، وشهد على الغيب ، ستكون وخيمة وسرد لذلك مثل [البازيار وامرأة المرزبان[٢]] . ويضع دمنة نفسه في هذا المثل بمنزلة المرأة الطاهرة الشريفة ، المكذوب عليها ، بينما يظن القوم غير ذلك بناء على ما سمعوا . فإن تقدم أحد ليشهد بفجوره زورا كما فعل البازيار ، فإن دمنة يحذره بطش الأسد المتيقن من براءته ، مثلما أن المرزبان ، متيقن من براءة زوجته ، وإنما أراد التّثبّت من الأمر كما يريد الأسد التّثبت من أمره ليشهد الناس ذلك . لذا ، فإن الشاهد عليه ستكون عاقبته وخيمة من الله تعالى حيث يتلاعب دمنة بمشاعر الناس الدينية ويحاول توظيفها لمصلحته .

وبذلك فقد عجز القضاة عن فصل خطاب دمنة ، فرفعوا ما سمعوا من لفظه إلى الأسد الذي عرضه على أمه ، فتدبّرت كلام دمنة ثم خاطبت الأسد بقولها : « لقد صار اهتمامي بما أتخوّف من احتيال دمنة لك بمكره ودهائه حتى يقتلك أو يفسد أمرك ، أعظم من اهتمامي بما سلف من ذنبه إليك في الغش والسّعاية حتى قتلت صديقك [٣] بغير ذنب »

الحل الكامل للميثاق وشهادة الشهود :

لقد طلب الأسد من أمه أن تخبره عن الذي أخبرها عن دمنة ، بما أخبرها فيكون ذلك حجة له في قتله ، فرفضت أم الأسد ذلك حتى تطلب من الذي استودعها السر أن يحلّها من ذكره ، ويقوم هو بعلمه وما سمع منه ، ثم انصرفت وأرسلت الى النمر وذكرت له ما يحق عليه من التزيين للأسد ، وحسن معاونته على الحق ، وإخرَاج نفسه من الشهادة التي لا يكتمها مثله مع ما لحق عليه من نصر المظلومين ، وتثبيت حجة الحق في الحياة والممات ، فإنّ العلماء قد قالت :« من كتم حجة ميت ، أخطأ حجته[٤] يوم القيامة » ، فلم تزل به حتى قام فدخل على الأسد فشهد عنده بما سمع من إقرار دمنة .

فأرسل الفهد المسجون الى الأسد من يخبره أن عنده شهادة فأخرج ، وشهد بما سمع من

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ٢١٩ - ٢٢٠

(٢) انظر الحكاية : كليلة ودمنة ، ص ٢٢٨

(٣) كليلة ودمنة : ص ٢٣١ - ٢٣٢

(٤) كليلة ودمنة :- ص ٢٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إقرار دمنة ، وقد برّر كل واحد منهما للأسد تأخره في القيام بالشهادة ، بعد أن سألهما : أن الملك قد علم « أن شهادة الواحد لا توجب حكما فكرهت التعرض لغير ما يمضي به الحكم حتى إذا شهد أحدنا قام[١] الاخر » . فقبل الأسد قولهما .

العقاب :- لقد عاقب الأسد المعتدي الشرير ، حين أمر « أن يقتل ، ويصلب على رؤوس الاشهاد [٢] »

حيث نادى المنادي :- « هذا جزاء من يسعى بين الملوك وبين أجنادهم وبطانتهم بالكذب والبهتان [٣] » .

ثم قال الفيلسوف « فمن نظر في هذا ، فليعلم أنّ من أراد منفعة نفسه بضرّ غيره بالخلابة والمكر ، فإنه سيجزى على خلابته ومكره [٤] »

---

(١) كليلة ودمنة :- ص ٢٣٣

(٢) كليلة ودمنة :- ص ٢٣٣

(٣) كليلة ودمنة :- ص ٢٣٣

(٤) كليلة ودمنة :- ص ٢٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البعد الأخلاقي في حيلة دمنة : -

لقد رغب دمنة في الوصول الى الأسد ، وبلوغ منزلة لديه ، وهذا مطلب طبيعي ، ومألوف ، لا غرابة فيه ، اذ ينزع الانسان إلى الارتقاء ، وإلى تحسين ظروف حياته ، وهو أمر دنيوي ، يطلبه صاحب الدنيا كما جاء في حكمة الشيخ .

ولكنّا نجد أخاه المجرب ، « كليلة » يمنعه من السعي لتحقيق تلك الرغبة ، لأسباب ، منها : « أن لكل إنسان منزلة وقدرا ، فإن كان في منزلته التي هو فيها متماسكا كان حقيقا أن [١] يقنع» كما أن صحبة السلطان خطرة ، لا يجتريء عليها الا أهوج ولا يسلم منها إلا [٢] قليل .

ضمن هذا المنظور التجريبي يمكننا أن نحكم على فعل دمنة بالرعونة والهوج والحمق . ولكن دمنة يعلل تلك الرعونة ، « بأن المنازل متنازعة مشتركة على قدر المروءة[٣] » . فليست حكرا على أحد ، وأنّ « من لم يركب الأهوال لم ينل الرّغائب ، ومن ترك الأمر الذي لعله يبلغ فيه حاجته هيبة ومخافة ، لما لعله يتوقّاه فليس ببالغ جسيما [٤] » .

إنّ هذا التعليل يبدو منطقيا ، ولكنه يكشف في الوقت نفسه عن المستوى الأخلاقي الظاهر في حجة دمنة الذي ادعى أنه يرغب في القرب من السلطان « ليسر الصديق ، ويكبت العدو [٥] » . إلا أن المستوى الحقيقي الباطني الخفي نستطيع أن نستشفه من منع كليلة الذي خبر أخاه ، وعرف ما هو من شكله من الأمور ، فحاول أن يثنيه عن عزمه ، حين قدّم له مثلا* عن قرد قام يتكلف عمل نجار ، وهو ليس من شكله، فكانت عاقبته وخيمة . وبذلك تنبأ كليلة لدمنة بالاخفاق المحتم .

وقد كشف دمنة منذ البداية في حواره مع كليلة عن نفسه ،وعن حقيقة توجهه ، في انحيازه نحو الشر . باستعداده لاطراح الأنفة ، وحمل الأذى ، وكظم الغيظ وتزيين الشر لجعله خيرا ، وغير ذلك من الصفات التي لا يواظب على باب السلطان إلا من اتصف [٦] بها . يقول

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ١٢١ ، نسخة دار مكتبة الحياة / بيروت

(٢) الكتاب نفسه ، ص ١٢٦

(٣) نفسه ، ص ١٢٢

(٤) نفسه ، ص ١٢٦

(٥) نفسه ، ص ١٢٠

* انظر مثل القرد والنجار : كليلة ودمنة ، ص ١١٩

(٦) كليلة ودمنة ، ص ١٢٤ بتصرف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دمنة معبرا عن استعداده هذا ، وسياسته لبلوغ الحظوة عند الملك :

« فإن الرجل الاديب الرفيق لو شاء أن يبطل حقا أو يحق باطلا [١] لفعل » بمعنى أنه مستعد للقيام بأي شيء في سبيل نفع نفسه وبلوغ مراده بالقرب من الأسد .

وكليلة الذي أخذ على دمنة عهدا بعدم ضر الاسد للخلاص من الثور ، لأن ذلك غدر ، باعتبارهما من رجاله أو في خدمته تبرأ من دمنة بعد أن خان عهده معه إذ جرح الأسد في قتاله مع الثور . مما جعل كليلة يعده ممن لا يوثق بهم، ولا يسترسل إليهم « لأنه جامع للخب والخديعة والفجور [٢] » ، « ولأن صحبة الاخيار ، تورث الخير وصحبة الأشرار تورث [٣] الشر » لذا يعد نفسه جديرا بالفرار [٤] منه، لأنّ « المفسد بين الإخوان كالحية التي يربيها الرجل ويطعمها ، ويمسحها ، ويكرمها ، ثم لا يكون له منها غير [٥] اللدغ » .

ويمكننا أن نصل الى أبعاد اخرى في فهم طبيعة الدور الذي قام به دمنة باعتباره ممثلا للمعتدي الشرير في الحكاية من خلال تتبعنا لعنصر أساسي فيها ، يرتبط بالعقل ارتباطا مباشرا وهو المغامرة.

---

(١) الكتاب نفسه ص ، ١٢٥

(٢) نفسه ص ، ١٩٣

(٣) نفسه ص ١٩٦

(٤) نفسه ، ص ١٩٤

(٥) نفسه ، ص ١٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العقل والمغامرة : -

بدأت مغامرة « دمنة » بإعلانه عن عزمه لتحقيق رغبته في الوصول الى الأسد ، وبلوغ منزلة لديه.

إن هذه المهمة الصعبة التي انطلق دمنة لتحقيقها ، تنتقل لتصير عنصرا من العناصر التي تعقد الحبكة في الحكاية .

إذ قام دمنة بفعل « الانطلاق » لتحقيق هذه المهمة أو إنجازها ، ولكنه انطلاق عكسي وإن تضمن انتقالا من وضع إلى وضع جديد ، إلا أنه في هذا الموقف يمثل على المستوى المعنوي انتقالاً من العالم المنفتح الواسع الى العالم الضيق المنغلق على ذاته باعتبار أن الارتقاء الى السلطان شديد ، والمقام فيه أشد « وإنما شبه العلماء السلطان بالجبل الصعب المرتقى الذي فيه الثمار الطيبة والأنهار الجارية ، والجواهر النفيسة ، والادوية النافعة ، وهو مع ذلك معدن السباع والنمور والذئاب وكل ضار مخوف » (١).

وقد عبرت الحكاية عن هذا الفعل بكلمة مناقضة « للخروج » المرتبط بالانطلاق عادة ، وهي كلمة « الدخول» « ثم إن دمنة انطلق حتى دخل على الأسد (٢) »

لذا نستطيع أن نعد دمنة الضحية الأولى في الحكاية ، حيث يمكننا في ضوء ذلك أن نفهم محاولة كليلة منعه من الانسياق وراء رغباته، أو التكلف من القول والفعل ما ليس من شكله ، وإلا أصبح ضحية نفسه .

إن منع كليلة لدمنة ، ثم تنبؤه بإخفاقه يشير إلى تجربة كليلة في الحياة . ثم فهمه العميق لطبيعة المهمة التي غامر دمنةبحياته من أجل تحقيقها .

فالمغامرة التي سعى إليها دمنة محكوم عليها بالاخفاق لا لأنها خطأ في ذاتها ، وإنما لأنّ السبيل المؤدي إليها متوعر ، وشائك ، وغير مأمون العواقب فقد يلتبس في هذا الطريق الخير بالشر

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ١٢٦

(٢) نفسه ، ص ١٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بحيث يصعب على الانسان السائر فيه التمييز بينهما ، مما قد يؤدي به إلى الضياع والهلكة. باعتبار أن السلطان لا يتوخى بكرامته فضلاء من بحضرته ، ولكنه يؤثر الأدنى ، ومن قرب [١] منه » كما ان القرب منه يحتاج الى علم بآداب السلاطين [٢] ومجالسهم .

بمعنى أن المغامرة كي تحقق النتائج المتوخاة منها ، تحتاج إلى القوة . والفعل الذي نوى دمنة القيام به يخرج لينضوي تحت باب المخاطرة .

وقد خص الله سبحانه وتعالى كل مخلوق من مخلوقاته بقوة في ذاته ، ليحقق لنفسه المنفعة ، ويدفع عنها الضر .

إن القوة باعتبارها وظيفة رئيسية في الحكايات ، يندرج تحتها عدد من الوظائف الفرعية التي تتمثل في : —

١ . قوّة الايمان

٢ . قوّة المال

٣ . قوّة الحيلة

٤ . قوّة العلم والمعرفة

٥ . قوّة الكلمة

٦ . قوّة الجسم

٧ . قوّة الأعوان

بيد أن (القوّة) ، التي يقابلها على الطرف النقيض (الضعف) ، محكومة بالعلل والمقادير ، وما دام الأمر كذلك ، فعلى الإنسان أن يلتمس لنفسه الخلاص في كل ما يقول ويفعل ، إذ لا يوجد في الكون ظلم مطلق أو عدل مطلق ، فعليه إذن أن يتوخى السبل التي تحقق له العدل والخير .

وتبرز هنا قوّة العقل لتسود أنواع القوى المختلفة ذلك لأنّها القوّة الوحيدة التي يمكنها احتواء هذه القوى جميعا وتأليفها بتسييرها نحو خير الانسان ومنفعته ، لأنّ الإنسان بالعقل

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ١٢٣ – ١٢٤

(٢) نفسه ، ص ١٢٣ بتصرف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحده يستطيع أن يدرك أمله في الدنيا والآخرة .

بيد أن العقل بدوره من أجل أن يؤدي وظيفته يحتاج الى الرعاية والتهذيب ، لأنه مكتسب بالتجارب والآداب . « فلا شيء أفضل من العقل والأدب ، فمن منّ عليه خالقه بالعقل، وأعان هو على نفسه بالمثابرة على الأدب ، والحرص عليه ، سعد جدّه ، وأدرك أمله في الدنيا[1] والآخرة »

إنّ الحيلة في الحكاية باعتبارها قوّة مشروطة بالعقل ترتبط بالعمل والغاية منه ، وعلى هذا فإن منطلق كليلة الفكري ، ونظرته العميقة في الحياة ، هي التي حدّدت موقفه من رغبة دمنة ، وهي ذاتها التي أرجأت معاقبة دمنة ، بتوبيخه ، والتخلي عنه، وإعلان الفرار منه ، إلى حين تحقق أقواله بالفعل ؛ ذلك أن كشف كليلة لحقيقة دمنة هو ما جعله يتبرأ منه، بما بدا له من فعله، وليس رغباته التي عبرّ عنها بالقول في الحوار الذي دار بينهما قبل دخول دمنة الأول على الملك .

وإنما وقف كليلة من دمنة هذا الموقف ، لتباعد الهوة بينهما ، بسبب انحياز كليلة نحو الخير ، في حين آثر دمنة طريق الشر لتحقيق أغراضه .

ترتبط بالمغامرة والعقل إذن فكرة جوهرية سامية ، تنطلق منها أحداث الحكاية وتنتهي إليها وبموجب هذه الفكرة ، وعلى ضوء النتيجة التي تنتهي إليها المغامرة يتم الحكم على الأمور بالنجاح أو الفشل . بالثواب أو العقاب ، وذلك على أساس اقتراب الناس في أفعالهم ، وفي المغامرات التي تجابههم من فكرتي (الخير والشر) .

فالزاد للآخرة هو أحد الأمور الثلاثة التي يطلبها صاحب الدنيا ، والتي تضمنتها حكمة الشيخ التاجر بعد السعة في الرزق ، والمنزلة في الناس ، ثم أنّ اكتساب هذين الأمرين الأخيرين في الدنيا ليعود نفعهما على صاحبها في الاخرة .

والعقل هو المسؤول عن التمييز بين الحق والباطل والتماس سبل الخير والثواب .

في ضوء هذا الفهم لثنائية (الخير والشر) يمكننا ان نفهم الحكايات الفرعية الخاصة بالحيلة داخل سياق الحكاية الرئيسية باعتبار أنّ الحيلة: تنضوي تحت باب المغامرة كما انها مشروطة بالعقل:-

لجأ دمنة الى الحيلة للخلاص من الثور بحجة أنّ علاقة الأسد بالثور مضرة للأسد غير ان

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ٤٩ ، بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

« كليلة » أول من أدرك أن هذا الوجه الظاهر المعلن لتعليل القضاء على الثور بسبب ان دمنة يريد نفع نفسه بالعودة الى منزلته الأولى عند الأسد، والتي غلبه عليها الثور ، بالاضافة الى أنه يفتقد القوة التي يستطيع ان يغلب بها الثور منفردا ، لشدة هذا الأخير ، وكرامته على الأسد ، وكثرة أعوانه .

يقدّم دمنة على فعل الحيلة ، لأنه يرى أنها تجزي ما لا تجزئ القوّة ، بناء على فهمه الخاص لثنائية (القوة والضعف)

والذي فصّله لكليلة في التبرير الذي قدّمه له ، بشأن عزمه على مغالبة الثور ، رغم أنه أشد منه ، يقول : —

« لا تنظر إلى صغري ، وضعفي ، فإن الأمور ليست بالضعف ولا القوة، ولا الصّغر ولا الكبر في الجثة فربّ صغيرٍ ضعيف قد بلغ بحيلته ودهائه ورأيه ما يعجز عنه كثير من الأقوياء[1]».

ذلك لأن الحيلة إذا أحكمت البناء ، قد تحقق النتائج المتوخاة منها ، وتحفظ النفس من تكلّف المشقة ، والعناء ولكنها في الوقت نفسه تحمل في داخلها بذور نقضها فتظهر حينذاك الخطورة منها ، وتزداد الخطورة شأنا ، إذا كشفت الحيلة قبل أن تؤدي الغرض المرجو منها ، أو إذا لم يحسن التماسها ، والتخطيط لها ، أو القيام بها .

ويسرد دمنة لذلك مثلاً قبل قتل الثور يثبت فيه لكليلة ايمانه بقوة الحيلة ، وحسن فهمه لأبعادها :—

في الحكاية الفرعية [الغراب والأسود الثعبان وابن آوى[2]] حيث كاد الغراب أن يودي بنفسه حين قرر الانتقام من عدوه الاسود بسبب الحيلة البائسة التي عزم على تنفيذها ، لولا أن وبّخه صديقه ابن آوى ، والتمس له حيلة تعد نموذجا للحيلة الناجحة المبنية على الدّراية والعلم ، لأنها تتضمن شرطا أساسيا من شروط الحيلة الناجحة ، ينبغي التنبه له وعدم إغفاله ، لضمان إصابة الهدف ، وتحقيق الوطر دون التغرير بالنفس والمخاطرة بها « لأن بعض الحيلة مهلكة للمحتال » وينبني هذا الشرط على التخطيط المسبق لبلوغ الغاية بواسطة الآخرين .

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ١٤٦،بيروت

(٢) انظر الحكاية : كليلة ودمنة ، ص ١٤٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما حكاية [المكّاء الطائر والسّرطان[١]]،وهي الحكاية الفرعية المولدة التي رواها ابن آوى للغراب ليحذره فيها من مباشرة الأمور المهلكة بالنفس ، فهي مبنية على النقيض ، وتمثل نموذجا معاكسا للنموذج السابق إذ يغرر فيها المحتال (العلجوم) بنفسه ، كما كاد الغراب أن يفعل . وتكشف في الوقت نفسه عن صراع الأضداد لبلوغ الاهداف بالعقل والعلم .

وتقابل الحكاية السابقة [الغراب والأسود وابن آوى] حكاية [الخب والمغفل[٢]] ، وهي الحكاية التي رواها كليلة لدمنة بعد مقتل الثور وجرح الأسد ، يوبخه فيها على سوء فعله ، وتتضمن حكاية مولدة فيمن لم يتثبت في الحيل ويتدبرها ،وينظر فيها ،فتوقعه حيلته في أشد مما يحتال له. وهي حكاية [العلجوم والحية[٣]] .

وتندرج تحت هذا السياق أيضا حكاية [وكيل البحر والطيطوي[٤]] ، والتي أوهم فيها دمنة الثور ، بصدق النصيحة حين أخبره أنّه لا ينبغي لأحد أن يخاطر بنفسه ، وهو يستطيع غير ذلك .

وقد أراد دمنة من ذلك – ظاهريا – دفع الثور إلى الاستعانة بالأعوان على الأسد لمصالحته خوفا منه ، لأنه الأقوى ، غير أنّ الثور لم يفعل ذلك لا لأنه أدرك خديعة دمنة الذي اراد من استعانة الثور بالأعوان إثبات صدق قوله للأسد من اجتماع الثور بأعوان الملك وتأليبهم عليه . وإنما لأنه يدرك حقيقة العلاقة القائمة بينه وبين الأسد ، لذا لم يستعن بأحد . فالاعوان ينحازون الى القوي في الغالب . وهو الاضعف في هذا الموقف .

وقد استعان دمنة بالحكاية المولدة داخل حكاية الطيطوي وهي حكاية [البطتين والسلحفاة[٥]] على إتمام حيلته ، لأنّ هذه الحكاية تؤكد على ضرورة استماع قول الناصح من الأصدقاء ، ومن لا يفعل ذلك ، فسيكون مصيره الموت لا محالة .

ولما لم يفعل الثور ذلك . ولم يستمع لنصيحته ، بالاستعانة على الأسد ، فقد حوّر دمنة في حيلته بحيث اتخذت بعداً جديدا .

---

(١) انظر الحكاية : كليلة ودمنة ، ص ١٤٨

(٢) نفسه ، ص ١٨٩

(٣) نفسه ، ص ١٩١

(٤) نفسه ، ص ١٨٠

(٥) نفسه ، ص ١٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أنّ هذه الحكايات جميعا تقع مقابل حكاية واحدة يرويها الثور لدمنة في هلاك البريء الصحيح إذا اجتمع عليه المكرة الظلمة ،وإن كان قويا ، وهم ضعفاء وهي حكاية [الذئب والغراب وابن آوى والجمل[١]] .

ويبقى أخيرا مثل عاقبة (المغتر) في حكاية [الأرنب والأسد[٢]] ، ولأنها الحكاية الأكثر دلالة على بنية الحكاية الرئيسية . فإننا نرجيء عرضها إلى حين مناقشتها تجنبا للتكرار .

(١) كليلة ودمنة ، ص ١٧٤

(٢) نفسه ، ص ١٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني
باب
الحمامة المطوّقة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتكون الحكاية من ثلاث حلقات ، تتابعت كي تحقق من خلالها الهدف الأساسي للحكاية في التأكيد على الاخوة الصافية والقيادة الحقة التي يمكن ان تتحقق بالإيثار ، والعلم ، والعمل به وكيف يكون التعاون الجماعي وسيلة للخروج من المأزق .

أما الحلقة الأولى ، فهي قصة « الحمامة المطوقة » وهي قصة الايثار ،والتضحية بالنفس في سبيل الجماعة (الرعية) .

والحلقة الثانية وهي قصة « الجرذ والغراب » وتصور الجهد والمشقة والتواضع ، والإصرار على طلب العلم للانتفاع به عند الحاجة .

والحلقة الثالثة هي قصة « الجرذ والناسك » وهي قصة الصراع بين الانسان وتقلبات الدّهر.

وكما استخدمت الحكاية لتحقيق هدفها هذه الحلقات الثلاث ، استخدمت ثلاثة أمثلة واقعية : -

المثل الأول – مثل « المرأة والسمسم » ليبين أن التبصر في الأمور ، والتفكر في عاقبتها قبل الاقدام عليها من صفات العقلاء .

المثل الثاني – مثل « الذئب ووتر القوس » ليبين أن الحرص والشره يتنافيان مع التضحية والإيثار .

المثل الثالث – مثل « الظبي والسلحفاة والجرذ والغراب » وهو مثل تطبيقي او تدريبي تؤكد الحكاية من خلاله ، القيم التي عالجتها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقوم حكاية (الحمامة المطوقة) على ثنائية الصراع بين (الخير والشر) ، ولعلنا أول ما نستشف ذلك من تقدير الحذف في العنوان ، اذ الأصل فيه (الحمامة المطوّقة والصياد) ، ولكن الفيلسوف حذف الصيّاد من العنوان ليؤكد فكرة الخير التي حملتها المطوّقة في عنقها ، لتدل على سيادتها من جهة ، وأمانه هذه السيادة من جهة اخرى .

وبالإمكان تسجيل عدّة صور تدخل في إطار ثنائية (الخير والشر) التي اشرنا اليها ، والتي تحيل بدورها الى التعارض بين الظاهر والباطن :

١- المظهر / المخبر :- حيث تبدو اهمية الوظائف التي وكّلت الى المظهر الخارجي في هذا العمل السردي من خلال بعض الأوصاف التي رصدناها ، ونحن نفكّك هذا النص ، ويمكن تصنيف هذه الصفات في :-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التطويق :-

والحق أن سيمائية الوصف هنا أفادتنا في بناء شخصية الحمامة[١] دلالياً ومورفولوجيا حيث نلفي الحمامة« مطوقة » وهذه صفة جمالية معنوية تغلب عليها ، فهي إذن سيّدة معروفة ، ذات شرف رفيع ، وقدرجليل ، تترتب عليها كل صفات السيادة (الايثار ، العقل،الاهتمام بالمصلحة العامة..) ، كما أن هذا الوصف يعكس الرغبة في إشباع النص بالجمال ، جمال الفكرة التي تمثلها المطوقة ، وهو ايحاء بالغنى الداخلي ،والتحضر والرقي .

والتطويق للحمامة – كالتتويج للملك – صفة رمزية لسيد القوم (الملك ، الحاكم) . استحقت الحمامة صفة التطويق[٢] هذه تاريخيا ، وهي صفة ملازمة لها تظل بمثابة كنية تتميز بها عن غيرها ،وتعطيها معنى السيادة والبطولة .

---

(١) تمثل الحمامة في الرمز الديني الروح القدس ، فمنذ أزمنة المسيحية الأولى، والحمامة البيضاء تمثل القدرات العليا العطوفة ، فهي تلهم البطل وتجعله قادرا على الاضطلاع بالوظائف الأكثر سموّا على الأرض ، « وتظهر في كثير من القصص العامية لمن وقع في مأزق صعب ، أو لمن خبأ له أعداؤه دسيسة تودي به ، فترشده الى طريقة تنقذه مما وقع أو سيقع فيه ، وتجعل النجاح حليفا له » .

انظر :– يوسف أمين قصير :– الحكاية والانسان ، ص ١٦٦ .

وهي بشكل تقليدي رمز الحب ، ويرمز اللون الأبيض غالبا إلى البراءة والطّهارة ، والنمط الروحاني .

(٢) قصة الحمامة مع النبي (نوح) وتطويقه لها مشهورة . انظر :– العهد القديم ، سفر التكوين ٨: ص ٦ – ١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المكان :

تبدأ حكاية الحمامة المطوقة بعرض أولي . الغاية منه ، تحديد المكان ووصفه،للكشف عن ما هية ذلك المكان .

ويميل وصف الفيلسوف للمكان إلى نوع من الدقة البصيرية في التحديد ، وفي عمق الدلالة ، وفي النظرة الى المرئيات ،حين يستثير فينا التجاوب البصيري مع بصيرته ، منطلقا لنظرة شمولية في التصور ، وفي هذا تركيز للرؤية وتكثيف لأبعادها للكشف عن عمق دلالة المكان ومعانيه.

فالمكان الذي تدور فيه الأحداث يقع « بأرض سكا وندجين ، عند مدينة [1] داهر » ، وللمكان أيضا خصوصية حين يكون كثير الصيد ، يكثر الصيادون انتيابه ، ومن محدّداته : «شجرة عظيمة ، كثيرة الغصون ، ملتفة [2] الورق فيها وكر غراب »

إذن ، طريقة تناول المكان تمثل نافذة نرى من خلالها الصّراعات والمتناقضات ، فالشجر الملتف ، الكثير الأوراق يجعلنا نفهم أنه مكان خصيب . ولكنّه في الوقت نفسه ، يشكل الشيء ونقيضه ، من حيث أنّه يصلح مكانا لطلب الأمن والحماية ، كما يصلح في الوقت نفسه لصنع الدّسائس وحياكة المؤامرات أي (الاعتداء على الأمن) .

المكان في الحكاية جاذب ، ومرغوب فيه ، فهو يمثل للغراب الملجأ والحماية والدفء ، إذ يقع وكره فيه . ومنه أعلن رغبته في الأمن والحماية ، الى جانب رغبته العميقة في تحصيل المعرفة النافعة في الحياة .

إذن ، يحتوي المكان في الحكاية على الزمن مكثفا الى جانب وظائف اخرى ترتبط بالموضوع المعالج في النص : فمن أهم الثنائيات التي تميز المكان ثنائية « الداخل / الخارج » ، فلكل كائن حي إقليمه الذي يمثل مركز إشعاع له[3] ، ويختلف مع العالم الخارجي الشاسع ، وينطوي هذا التّعارض على اختلاف آخر هو ثنائية : « أنا / الآخرون » .

ومن الواضح أن مثل هذا التّقسيم يحمل في طياته منظومة قيمية تجعل كل ما هو ملاصق لي ، وداخل في نطاق إقليمي محط اهتمامي ، وجزءا من شواغلي ، لذا نجد الغراب يهتم

---

(١) كليلة ودمنة : – ص ٢٣٥ ، بيروت .

(٢) كليلة ودمنة :– ص ٢٣٥ ، بيروت

(٣) يوري لوتمان وآخرون : جماليات المكان ، ص ٦٣ – ٦٤ ، بتصرف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لدخول الصياد الى المكان المحيط به . حيث يظهر الاقتران :

– اقتران رؤية الصياد بالموت في ذهن الغراب . يقول :–

«لقد ساق هذا الرجل الى هذا المكان ، إما حيني ، وإمّا [1] حين غيري » .

إنّ وضوح الاقتران في ذهن الغراب هو ما جعله يلزم مكانه ليراقب ما سيحدث ، فهو يمثل العين الراصدة الواقعية أو على الأرجح الشعور الناضج * ، فقد كان قادرا على أن يعرف بدقة سلوك العدو الصياد ، أو الغريب الذي يحاول أن يغرينا ويقودنا الى فخه . فلم يقدم نفسه ضحية له ،وإنما أخذ بأسباب السلامة واستقر في موقعه يرصد ويسجل .

---

١) كليلة ودمنة ، ص ٢٣٥ .

* مثل غراب الرب التوتوني فوتان Wotan الذي كان يمثل على الأرجح الشعور الناضج . انظر :
برونوبتلهايم :– التحليل النفسي للحكايات الشعبية ، ص ٢٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصياد :-

أسبغ الفيلسوف على الصياد الصفات الخلقية القبيحة ، لتدل على مخبره القبيح ، لأنه عنصر (الشر) في الحكاية ، وكأنما أراد بالتّشويه الخلقي الإشارة الى التشويه النفسي للمعتدي ، « فهو قبيح المنظر ، سيء الحال والخلق وقبح منظره يدل على سوء مخبره[١] » .

ولعل التناقض يبدو جليا في ثنائية الظاهر والباطن إذ إن الشر لا يبدو غالبا في صورة الشر، وإنما في صورة الخير ، ولكن الفيلسوف الذي كان يراعي الواقع في رسم الصور الخلقية ليزيد شخصياته حيوية وقوة ، ربما قصد بهذا الوصف ، أن الصياد (الشرير/ المعتدي) قد يكون مكشوفا للحذر اليقظ ، مثل الغراب الذي ظل يراقب حركة المعتدي الشرير وفعله ، خاصة وقد لاحظ أدواته :-

١- **الشبكة** :- الصّياد يحمل شبكة ، والشّبكة نسيج معقّد (خطوط طولية وأفقية متداخلة) ، كانت الآلهة قديما تنسج الشبكة التي تقرر مصير كل فرد، أي الصياد ينسج او يملك شبكة ، وهو الذي يقرر مصير من يقع فيها« فهي فخ أو شرك أو حبل ، يشل حركة الضحية فتستسلم مكرهة ذليلة [٢] » وحبائل الصيّاد تقسم الى نوعين :-

حبائل مادية ،وحبائل فكرية معنوية .

٢- **العصا** : - أداة العدوان .

٣- **العقل** : - يمتاز الصيّاد بالعقل ، العقل بمعنى الرباط ، أو الأداة التي يتم بها الربط.

وفي الحكايات الخرافية غالبا ما يستعصي القضاء على الشيطان مثلا إلاّ عن طريق إصابته بسلاح معين ، ومعنى هذا أن السلاح لا بد أن تسكنه قوّة هي قوّة خيّرة تفوق قوّة الشيطان ، أما القوة الشخصية للبطل ، فلا تؤدي دورها الا في المرتبة الثانية .فقوة الصيّاد إذن في أدواته ، وإن كان الأمر في الحكاية على النّقيض ، فالقوّة التي تسكن أدوات المعتدي هي قوة الشر / مقابل قوة الخير التي ستحبط أعماله ، لذا نجده يحكم استخدام أدواته .

---

(١) كليلة ودمنة :- ص ٢٣٥.

(٢) عبد الفتاح كيليطو:- الحكاية والتأويل ، ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ هذا العنصر القصصي بيان هويّات الأشخاص ، والكشف عن انتماءاتهم الطبقية والخلقية – كما يقول ف . بروب – لا يشكل وظيفة قائمة بذاتها ، مؤثرة في السّياق العام للقصة ، وإنما يؤتى به باعتباره تمهيداً لعقدة القصة .

المؤامرة :-

– الخطوة الأولى نحو تنفيذ الحدث الشرير :-

• **الحيلة** :- نصب الشّبكة ، ونثر الحب ، والكمون .

إن القصد من وصف الفعل الذي قام به الصياد هو الكشف عن طبيعة الشر ،الذي كثيرا ما يلتبس بالخير فلا يستطيع الإنسان أن يميزه إلا بالفطنة والتجربة .

فالصياد في نثره الحب فوق الشبكة ، قام بفعل محمود ، لأنّ نثر الحب ،رمز للكرم ، ولكنه هناكرم للوقيعة فهو في ظاهره خير ، أريد به الشر : وهو إغراء الفريسة للسقوط في الشرك ، أو وسيلة لجذب الفريسة واصطيادها . فلكي يقوم الفخ بدوره ، يلزم أن يكون خبره بخلاف مخبره ، أو أن يكون غير ظاهر، لتقع فيه الضحية .

إنّ الكمون عمل اختفائي بقصد طلب الأمن أو الحماية ، ولكنّ الهدف من وراء كمون الصياد ليس الحماية بل الإبصار الواضح لكل من يقترب من الشّبكة ، فالصياد لم يكمن ليحمي نفسه ، وإنما ليعتدي على غيره ، ويحاول أن يرى فريسته من موقع معين . نقرأ في النص : « ثم إنّ الصيّاد نصب شبكته، ونثر عليها الحب ، وكمن قريبا منها ، فلم يلبث إلاّ قليلا حتى مرّت به حمامة يقال لها المطوّقة ، وكانت سيّدة الحمام ، ومعها حمام كثير ، فعميت هي وصاحباتهاعن الشّرك ، فوقعن على الحب يلتقطنه، فعلقن في الشبكة كلّهن » (١)

الحيلة هنا في كون الصيّاد يخفي الشّرك من جهة ،ويختفي من جهة أخرى، بحيث لا تبصره الضحيّة المرتقبة .

الورطة : – لقد نجحت حيلة الصيّاد بسقوط الحمام في الشّرك ، وسبب الورطة أن سيدة الحمام عميت(٢) وصواحبها عن الشّرك ، فقد أحكم الصياد حيلته ، بحيث جعل الضحية تبصر فقط ما يريد هو أن تبصر، فعميت عن الشّرك ولم تنتبه إليه، بتعبير آخر. تحكّم في حاسة البصر التي تتمتع بها ضحيته ، وجعلها تخدم أغراضه ، في هذه الحالة لاتؤدي حاسة البصر

(١) كليلة ودمنة ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ . نسخة بيروت .

(٢) إن العين في هذا العمل السردي موظفة ، لا تقل وظيفتها عن تعبير اللغة الطبيعية فقد جاء لفظ (عميت) تجسيدا لموقف درامي ، استطاعت العين أن تعبر عنه باعتبار الرؤية من اهم وسائل العلم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظيفتها المعهودة . فتصير تبعا لذلك مرادفة للعمى .

إنّ العمى هنا ربما يكون قادما من جهتين :-

١- إبصار الحب دون الشرك وهو ابصار جزئي بسبب حيلة الصياد حين جعل الفخ مندمجا في الأشياء المحيطة به ، ومتكيفا معها .

٢- عمى البصيرة :- إذ كان من المفروض أن تتصور هذه الملكة ، أو السيّدة (سيّدة الحمام) أن هذا الحب المعروض قد يكون وراءه شيء ما ، إذ كان عليها أن تفكر . كما فكّر الرجل في الحكاية الفرعية داخل النص ، وهي حكاية المرأة التي باعت سمسما مقشورا بغير [١]مقشور ، فهي لا بد فعلت ذلك لأمر ما مثير للريبة ، مما دعا رجلا يقظا في السوق الى الشّك في فعلها ، وكرمها السّخي : فلم تستبدل المرأة سمسما مقشورا بغير مقشور ؟

إن ذلك يدعو العاقل الى التفكر في الأمر ، والتبصر به . إن الفعل في ظاهره خير ، ولكن لا بد أن هناك أمرا خفيا جعلها تفعل ذلك يكمن فيه السر ، وكانت تلك هي الحقيقة:-

فقد استقذرت المرأة السمسم المقشور الذي استبدلته بغيره بسبب أن الكلاب عاثت فيه ، فهي لم تفعل ذلك نفعا لمن بادلته به ، وإنما نفعا لنفسها خاصة . وذلك شأن الصّياد في نثره الحب. ولعل هذا الفهم مرتبط بقوله : « علقن في الشبكة كلّهن [٢] » . فلم يؤكد وقوع الحمام بجملته ؟ . يمكننا أن نفهم السبب أيضا ، إذا ربطنا هذا القول مرّة أخرى بقوله :« ومعها حمام كثير [٣] » إن ذلك يحتمل معنيين : -

الاول - أنه لم يكن لدى الحمام تدبير ، إذ من المفروض ألا ينزل الحمام (« كله ») ليلتقط الحب ، فوسائل الصيّاد معروفة ، وكلمة (« كلّهن ») تفسر غياب التدبير . فإذا تذكرنا أن ارتباط الحمام بالحب وثيق ، فإن سقوطه كله في الشرك يكشف عن قلة الخبرة والدراية والتجربة .

الثاني – لتكون الأزمة أو الورطة كاملة ، ليتضح المغزى :-

---

(١) انظر الحكاية :- كليلة ودمنة ، ص ٢٤٥

(٢) كليلة ودمنة ، ص ٢٣٦

(٣) نفسه ، ص ٢٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذ لم يبق حمام ليخير في حل الأزمة ، أو كيف ستسلك سيدّة الحمام مع الحمام الباقي أو كيف سيسلك الحمام بعضه ، مع بعضه الآخر .

والنتيجة من ذلك كله أنّ الحمام في ورطة تحتاج إلى معالجة سريعة أو حل .

- محاولة البحث عن حل / تجريب الحل الفردي :-

ما أن وقعن في الشّبكة حتى تملّكت الحمام حالة من الفوضى النفسية حيث بحثت كل حمامة عن خلاصها منفردة ، « فجعلت كل حمامة تتلجلج في حبائلها ، وتلتمس الخلاص [1] لنفسها » . مما أدى إلى فشل الحل الفردي .

المهمة الصعبة وإنجازها :- تولّت الحمامة المطّوقة بنفسها ، إنجاز المهمة الصعبة وهي إنقاذ سرب الحمام مما حل به ؛ فسيدة الحمام تمتاز بالعقل ، وأكثر ما يحتاج الانسان عقله في الملمّات ، لذا بادرت الى تقديم العلاج ، لتقود الخطى نحو الحل ، وأوّل مرحلة من مراحله : -

١- **نفسية** : - وتتمثّل في محاربة الخذلان ، أي الحفاظ على دوام الأمل بإمكانية النجاح والخلاص والابتعاد عن التخبّط الذي يؤدي إلى الضلال ، والدّعوة الى ضبط النفّس ، فلا تنقل إحداهن مشاعر الإحباط الى الأخريات . قالت : « لا تخاذلن في المعالجة [2] » .

ولعل ذلك ينبع من إيمان الحمامة أن هذه الورطة ، أو هذا (« الحصار ») حالة مؤقتة ، أو وضع لا يمكن له أن يدوم إذا عولج علاجا مناسبا حكيما ، حيث نفهم من ذلك إدراك الحمامة لمظهر الشّر ، وصعوبة اختراقه ثم محاولتها ذلك فعليا . ولكن ما دامت الورطة جماعية فالاختراق لا يتم إلا بتضافر الجهود ، حيث المرحلة الثانية من مراحل الحل .

٢- **أخلاقية - تربوية** :- وذلك بتأكيد فكرة الايثار . قالت :

« ولا تكن نفس إحداكن ، أهم إليها من نفس صاحبتها [3] »

٣- **اجتماعية** :- عن طريق التعاون . قالت :- « نتعاون جميعا ، ونطير كطائر

---

(١) نفسه، ص ٢٣٦

(٢) كليلة ودمنة ، ص ٢٣٦

(٣) كليلة ودمنة ، ص ٢٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واحد ، فينجو بعضنا [١] ببعض » حيث يبدو التركيز على كلمة « جميعهن » في قوله :

«فجمعن انفسهن ، ووثبن وثبة واحدة ، فقلعن الشبكة جميعهن بتعاونهن ، وعلون بها في [٢] الجو »

فالخلاص إذن لا يكون إلاّ جماعيا .

٤- الطيران :-

بطيران الحمام يبدأ الحدث بالحركة والانتقال الى مكان آخر، بعيد عن مكان الغراب ، أي خارج اهتمامه فيقرر الغراب اختراق هذا الخارج عن دائرة اهتمامه معرفيا فيخرج ليرقب ما سيؤول إليه أمر الحمام مع الصياد .

يقول الغراب :

« لأتبعهن، وأنظر ما يكون منهن [٣] »

« وتبعهن الغراب لينظر اليهن لعله يتعلم منهن حيلة تكون له عدة عند الحاجة [٤] » .

إنّ ابتعاد الحمام بالشّبكة يعني (« ظاهريا) ابتعاد الشّر عن الغراب ، وإمكانية العودة إلى السلام والطمأنينة السابقة قبل مجئ الصياد ، ولكن الغراب لا يطمئن الى هذه الكذبة الخادعة : كذبة أن يبدأ عهد جديد يسود فيه العدل و الاطمئنان ، لهذا يقرر الغراب القيام بفعل المعرفة حيث يبرز الصراع ،على أشده بين الحمامة والصياد ، ويتمثل في :-

١ – اصرار الحمام على التماس الخلاص .

٢– عدم انقطاع رجاء الصّياد منهن . « وقد كان ظنّ أنهن لا يجاوزن إلاّ قريبا حتى يقعن [٥] »

إن الطيور التي تطير عاليا في السماء ترمز الى حرية مختلفة تماما : حرية الروح في أن

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ٢٣٦

(٢) نفسه ، ص ٢٣٦

(٣) نفسه ، ص ٢٣٦

(٤) نفسه ،ص ٢٣٧

(٥) نفسه ، ص ٢٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحلق ، أو ترتفع بعيدا عما يربطها بوجودها الأرضي ، لطلب العون أو التماس الخلاص .

وكون الحمام قد اصبح فوق (في الجو) ، والصيّاد تحت (على الارض) ، فإن هذا يدل على تحول العلاقة بينهما ، لتصبح علاقة الحمام بالصيّاد ، علاقة (القوي بالضعيف) ، وقد كانت قبل طيران الحمام علاقة (الضعيف بالقوي) ، فالجو (الفضاء) عالم الحركة الحرّة الذي لا يستطيع الصياد ان يخترقه أو يصل اليه لاختلاف طبيعته عنه، كما أنه في الوقت نفسه عالم الحمام الذي يخبره ويعرفه ، ويقترب من الأمن فيه وما دامت الشّبكة عائقا ، فالطيران بها يعني بدء المرحلة الأولى من مراحل اختراق الشر الذي صممت عليه الحمامة منذ البداية ، وذلك أن فرصة النجاة اصبحت أكبر ، وامكانية الخلاص أكثر قربا .

إنّ صراع الحمامة والصيّاد يعني صراعا بين قوّتين : (الخير والشر) . ذلك الصراع الذي ظل مستمرا حتى والحمام طائر في الجو ، إن ذلك يشير بشكل آخر الى امتداد الصراع بينهما وتباعده في نفس الوقت .

في خضم هذا الصراع تصبح الحاجة ملحّة – عند جماعة الحمام – الى الشخصية القيادية، حيث يؤمّر الحمام المطوّقة سيّدة عليه .

وتبرز يقظة الحمامة الى أن الصياد جاد في طلبهن ، فبعد نقلها الصراع من دائرة الحل الفردي الى دائرة الحل الجماعي ، بدأت تتصور مراحل الحل الأخرى:-

الحيلة : – لجأت الحمامة الى الحيلة بسبب أن الخطر ما زال قائما رغم الطيران بالشبكة في الجو ، وتمثلت الحيلة في :-

– مواصلة الطيران حتى الوصول الى مكان آمن ، وذلك **باللجوء نحو العمران** . قالت الحمامة :« فإن نحن أخذنا في الفضاء ، لم يخف عليه أمرنا ،ولم يزل يتبعنا ، وإن نحن توجّهنا الى العمران ، خفي عليه أمرنا، [1] وانصرف »

– طلب معونة الأصدقاء . قالت : « وبمكان كذا جرذ هو لي أخ ، فلو انتهينا إليه قطع عنّا هذا[2] الشّرك » .

« فلما انتهت المطوقة الى مكان الجرذ ، أمرت الحمام أن يقعن[3] فوقعن » .

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ٢٣٦ – ٢٣٧..

(٢) نفسه ،ص ٢٣٧

(٣) نفسه ، ص ٢٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد أدى تبصّر الحمامة في انقاذ السرب من الورطة ، إلى أن ترتفع لتصبح آمرة ، ففعل الأمر هنا يعني الكثير :ـ

أمرت الحمام ، أي بدأ الحمام بالانصياع لامرها وقد أمّرها الحمام ، لأنها جمعت في شخصيتها الى جانب التفكير السريع السليم ، القرار الصحيح ، والقدرة على اتخاذه ، فاستطاعت بذلك الخروج بالحمام من المأزق بحكمة ورفق ، كما لم تقف عند حد في حل المشكلة ، وإنما سارت بها نحو نهايتها بدراية وتعقل .

إذن .. سوّدها الحمام لأنها تمتلك ميزات السيادة ، ولأن لها الرأي الصائب . وأعانها الحمام على الخروج من الأزمة بالانصياع لأوامرها ، حيث يترك الأمر للقائد للتفكير بحرية ، ويفكر القائد بحرية حين يأمن النزاع . فما كان عليها الا ان تأمر ، ليمتثل سرب الحمام لأوامرها، لأنها أثبتت أنّها الأقدر على قيادته ، والخروج به نحو آفاق جديدة رحبة .

والمطوقة قادرة على طلب العون ، لأنّ لها صديقا قد يعينها ، وتلجأ اليه من شر العدو (الصيّاد) .

و (الجرذ الصديق) أفضل من قد يعينها على النجاة في مثل هذا الموقف . فالحمامة تكتمل قوتها بأعوانها المخلصين .

يخرج اليها الجرذ ، ويبدأ بقرض الشّبكة ، ولكن قبل ذلك يدور بينهما حوار حول سبب وقوعها في هذه الورطة ، الغاية منه (الأمثولة – المغزى) .

وتبرز الحكاية عدّة قضايا يمكن إرجاعها الى الغاية من الحوار ، وهي :–

١– الخير والشر .

٢– المصادفة :– ما يأتي بالاتفاق ، دون تخطيط مسبق ٣– القدرة .

٤– القضاء والقدر*: ما يأتي دون أن يحسب له الانسان حسابا ،، ولا يستطيع دفعه، حيث لاحيلة له .

تقول الحمامة للجرذ : « ألم تعلم أنّه ليس من الخير والشر شيء إلاّ وهو مقدّر على من تصيبه المقادير ، وهي التي أوقعتني في هذه الورطة ، ودلّتني على الحب ، وأخفت عليّ الشبكة »[١] . «وليس امري وقلة امتناعي من القدر بعجب ، لأنّ المقادير لا يدفعها من هو أقوى مني ، أماتعلم أن بالقدر تكسف الشمس والقمر[٢] » .

---

* القدر : ما يحدث للإنسان من خير أو شر ، لغاية يعلمها الله .

(١) كليلة ودمنة :– ص ٢٣٧، بيروت

(٢) كليلة ودمنة ، ص ١٢٧ ، نسخة عزّام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تؤكد الحمامة هنا ، محدودية قدرة الانسان أمام الأمور الكبيرة ، فما من إنسان أو مخلوق إلا أمامه قدرة أكبر من قدرته ، ثم هو في النهاية محكوم بالقدر .

بعد هذا الحوار تدفع الحمامة الأمور الى نهاياتها ، أي تواصل العمل للخلاص من المأزق حين بدأ الجرذ بقرض العُقَد التي كانت تحيط بالحمامة ، فتستوقفه ، وتطلب إليه أن يبدأ في قرض عُقَد سائر الحمام قبلها،ثم يقبل على قرض عُقَدها ، وفي ذلك تأكيد على استحقاقها صفة السيادة بتجديد عهد الايثار ، فقد كانت الحمامة تأمر الحمام فينصاع لأمرها ، نتيجة العقد بينهما، فلم تستأثر الإنجاز الذي حقّقه الحمام مجتمعا لمصلحتها ، وتأكيدا لصدق موقفها تكرر على الجرذ ذلك ، فيسألها لم تكرّر عليه القول ، ويقصد تنبيهها – وهي خليلته – إلى مخاطر الإيثار :–

– كأنك « ليس لك في نفسك حاجة

– و لا لك عليها شفقة

– ولا ترعين لها [1]حقا »

ونستنتج أن أسئلة الجرذ للحمامة للإستيثاق منها أكثر منها أسئلة معرفة ، وأنّ قوله كان من أجل تأكيد الأمثولة ، وذلك من إجابة المطوّقة التي أكدّت فيها استحقاقها للسيادة مجدّدا في حسن فهمها لها او تبصرها فيها ، قالت :–

« لا تلمني على ما سألتك ، فإني قد كلّفت لجماعتهن بالرّياسة ، فحق ذلك عليّ عظيم ، وقد أدّين اليّ حقي في الطاعة والنصيحة بمعونتهن ،وطاعتهن ، وبذلك نجّانا الله من الصياد ، وإني تخوفت – إن أنت بدأت بقطع عقدي – أن تملّ وتكل ويبقى بعض من معي ، وعرفت أنّك إن بدأت بهنّ ، وكنت أنا الأخيرة لم ترض – وإن أدركك الكلال والفتور – حتى تخلصني مما أنا فيه[2] » .

فيثني عليها الجرذ ، لنكتشف أنّ ثناءه عليها هو ثناء الراوي الباطني ، لأنّ المشاهد أو الراوي ، الشخص الذي يقع خلف الرواية هو الذي يتحدث بلسانه :

« إنّ هذا مما يزيد أهل مودتك فيك رغبة ، وعليك حرصا[3] »

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ٢٣٨ ، نسخة بيروت

(٢) كليلة ودمنة ، ص ٢٣٨ ، نسخة عزام

(٣) نفسه ، ص ١٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأخذ الجرذ في قرض الشّبكة حتى فرغ منها ، يلهمه بهذا الفعل هدف اجتماعي كبير ، وهو انقاذ الحمامة ورفيقاتها ،

« فانطلقت الحمامة وحمامها معها » .

إن فعل الانطلاق هنا يعني السلامة والنجاة ، وهو المكافأة التي حصلت عليها الحمامة ، بسبب انجازها الفعل الباهر وهو انقاذ الحمام والخروج به من دائرة الشر (الصياد ، الجهل، العمى).....

ثم هي تطير وتمضي ، ولكن فكرها يمتد ويعيش وراءها أمدا طويلا ، لا ينتهي ولا يموت ، حيث تبدأ حلقة اخرى من الحكاية.

الحلقة الثانية – الجرذ والغراب .

تبدأ حلقة جديدة من القصة بدخول الغراب دائرة الأحداث بفعل إرادة ، بعدما شاهد فعل الجرذ مع خليلته المطوقة ، وما دار بينهما من أحداث ، فرغب في مصادقة الجرذ رغم العداوة الموجودة بينهما ، ولكن الجرذ رفض هذه الصداقة لأسباب :–

– أنّ العاقل لا يطلب ما ليس إليه سبيل وإلا عدّ جاهلا .

–أنّه شكّ في صدق الغراب لأنه لا يجهل أنّه أضعف منه .

قال الجرذ :« إن أنت إلا آكل ، وأنا طعام [1] لك »

وقد أكد الجرذ بذلك على ضرورة التكافؤ والانسجام فالغراب موجود فوق شجرة ، بينما الجرذ في جحر ، الغراب هوائي ،والجرذ تحت أرضي .

وكون الغراب يوجد فوق ، والجرذ تحت ، يدل على أن العلاقة التي تجمعهما هي علاقة (القوي بالضعيف) إذ بإمكان الغراب أن ينقض على الجرذ ويفترسه .

ولكن الجرذ حلّ مثل هذا الاشكال في حياته – أن يهاجم من قبل آخرين أو يصبح محلا للاعتداء – حين أعدّ لنفسه (مائه جحر) للاحتراز من المخاوف ، فهو يحسب للاحتمالات حسابات كثيرة جدا ، فإذا عزم عدوه على الكمون له، فإنه لا يدري في أي جحر هو ، وإذا فاجأه عدوه خارج الجحر ، فإنّ فرصه نجاته بالدخول تحت الأرض مضروبة بمائة .

---

(١) كليلة ودمنة ، باب الحمامة المطوقة ، ص ٢٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بهذا الاحتياط صار الجرذ قويا ، لأن بإمكانه الإفلات بسهولة كبيرة من كل من يعن له أن يسطو عليه .

الاختبار : -لقد اخضع الجرذ الغراب للاختبار عن طريق فخ نصبه له دون أن يشعر وهو الكلام .

فالكلام قد يتحو ل الى شبكة لاقتناص ضحية ، فعوض أن تظهر العلامات ما يدور بخلد المتكلم أو ما يجول في الفكر ، فإنها تصير حجابا يعسر خرقه ، أو تصير بمثابة الحب المنثور على شرك الصياد . يحدث هذا عندما يكون القصد من الكلام إيقاع المستمع في ورطة ، ويحدث هذا بالخصوص عندما يكون المتكلم عاجزا عن نيل مراده بالقوة ، فيعمد إلى الحيلة والمراوغة .

وقد يكون المستمع على علم بالطبيعة الخادعة للكلام فيكون حينئذ على أهبة واستعداد لتلقي الخطاب بكامل الوعي والتحرز أي أنه يفترض أن مخاطبه يحاول خداعه ، فلا يتقبل أقواله بدون أن ينتقدها ، ويفحص الزيف الذي قد تشتمل عليه .

وأثناء التخاطب تتبارز خطتان : الخطة الأولى تهدف الى المكر والخديعة ، أما الخطّة الثانية ، فإنها تهدف إلى اختراق المظاهر الكاذبة وإحباط الخديعة ، ذلك أن العاقل يكتفي من الرجل بالعلامات من نظره وإشارته بيده لكي يعلم سر نفسه ، وما يضمره في قلبه ، فالكلام قد يفضح صاحبه ، حتى وإن اجتهد في إخفاء ما يجيش في صدره . وما دام الكلام يخفي ويعلن ، يحجب ويكشف ، فإنه جوهريا ، وبالضّرورة ملتبس مبهم ، ومبني على تناقض أساسي .

ومن الممكن إرجاع حالات التخاطب المختلفة إلى أربع حالات :-

- المتكلم غير خادع والمخاطب غير منخدع
- المتكلم خادع ، والمخاطب منخدع
- المتكلم خادع ، والمخاطب غير منخدع
- المتكلم غير خادع ، والمخاطب منخدع (١) .

الحالة الأخيرة تبدو بعيدة الاحتمال ، ولكنها تحدث ، كما هو أمر التخاطب بين الجرذ والغراب ، فالغراب لم يقصد الخديعة حين عرض صداقته على الجرذ ، أما الجرذ فقد كان

---

(١) كيليطو : الحكاية والتأويل ، ص ٤٠ بتصرف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يخشى أن الغراب يسعى للتغريربه ، وإن كان يرفض صداقة الغراب – ظاهرياً – ليكشفه ،ويتثبت من أمره ، فإنّ الغراب ظل يحاوره ، ويحاول اقناعه ، وبعد تردد طويل يقبل الجرذ أن يصادق الغراب ويخرج إليه ، بسبب أن الغراب أورد حجة دامغة لا يمكن ردّها وهي أنه لم ينقض عليه عندما كان يقطع حبائل الحمامة . هذه الحجة أقنعت الجرذ ، وحملته على الاعتقاد أن الغراب لا يريد به شرا ، فقبل إخاءه بعد مماطلة لأنه لا يريد أن يظهر أمامه بمظهر المغفّل . يقول مخاطبا الغراب :

« وإنما بلوتك بما بلوتك به إرادة التّوثق لنفسي ، فإن أنت غدرت بي لم تقل إني وجدت الجرذ ضعيف الرأي[1] ، سريع الانخداع »

ثم بين للغراب عاقبة من يسلك سلوك الطيبة والسذاجة .

والحديث الذي دار بينهما ينطوي على عظات وتعليم في الصّداقة وشؤونها :

– عداوة الجوهر .

– الكريم واللئيم

– المتبادلون ذات اليد – والمتبادلون ذات النفس .

– علامات الصديق ، وعلامات العدو ..

يوافق الجرذ على الانتقال من مكان سكنه الى مكان جديد يقترحه الغراب ، فتنتقل الاحداث مجددا الى حيث تقيم السلحفاة صديقة الغراب .

دخلت السلحفاة الى مسرح الأحداث من خلال تجربة، ولكن هذه التجربة تجربة سماع ، لأنها مستوثقة من الغراب ولا بد أن تستوثق من الجرذ ، والاستيثاق لا يكون إلا بتجربة ولكن الاستيثاق من صديق جديد يمكن أن يكون بشهادة صديق موثوق به حيث يسأل الاصدقاء الجرذ أن يحدثهم عن نفسه وتجاربه .

فيبدأ الجرذ بسرد حكايته مع الناسك حيث تبدأ بذلك حلقة جديدة من الحكاية .

الحلقة الثالثة – الجرذ والناسك .

إن حكاية الجرذ مع الناسك هي التي شكّلت موقف الجرذ من الحياة والناس . وفي حديثه للسلحفاة والغراب يلخص تجاربه في الحياة ، ونظرته الذاتية فيها :–

---

(١) كليلة ودمنة :– ص ٢٤١ ، بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد كان الجرذ يعيش في بداية حياته في بيت ناسك ، يفتش عن الغبطة ، والاشباع المباشر والسريع بأقل مجهود ، دون أن يفكر لحظة واحدة في المستقبل ولا بأخطار الواقع مستندا الى قوة المال والأعوان ، ولكن بعد أن فقد المال، وفارقته الجرذان جراء ما حل به على يد ضيف الناسك برهن على بعض النضج عندما فكر في الانتقال الى مكان آمن ، والبدء من جديد ، رغم المصاعب التي واجهته ، ثم تصرّف بواقعية عندما بنى لنفسه بيتاً من مائة جحر ، كما تصرّف بشكل منسجم مع كفاءته في التنبؤ بما يمكن أن يحدث حين أخفى رغبته الملحة في الصداقة ، وحاجته الى الانس ، والأخوة والاتصال مع الاخرين ، فاخضع الغراب للاختبار قبل أن يصادقه ، ثم وافق على الانتقال معه بعد أن وثق به الى مكان جديد .

ولعلنا في هذا السّياق نستطيع تفسير مصير المائة حجر التي أعدها للمخاوف ، واستغنى عنها جميعا حين أمنت نفسه بالأعوان ، والاخوان الثقات ، أصفياء ذات النفس ، الذين يدلون على الخير ، ويرشدون عند الملمات ، وإن لم يجانب الحذر في كل أعماله .

على أننا لا يعنينا الرقم (مائة) ، وانما ما يعنينا هو دلالة هذا الرقم :-

فلعل (مائة حجر) تشير الى ذلك الصراع الاجتماعي القائم بين الجرذ وبين الآخرين ، فالمكان لديه يعبر عن أزمة نفسية ، وأزمة فكرية ،كما يشير الى أننا لا يمكن أن نعتمد على نجاح الضربة الاولى أو الثانية أو الثالثة أيضا ، فالاشياء لا تتم بسهولة كما نتخيل ونتمنى ، فذلك يعلم القائد أن لا يتراجع أو ييأس اذا عرف الفشل في المحاولة الاولى .

إذن ، فالمكان يكشف عن شخصية الجرذ الحذرة وماضيه الحافل بالتجارب والمحن (فمائة جحر) تعطي الانسان انطباعا عن عزله نفسيه، متشربة بحس ثقافي ذاتي وموقف من الحياة ، فهو يشير الى تجربة عميقة سابقة ، وهي على الأغلب مؤلمة « تجربتة مع الناسك)كما ينبئ بالجديد المتطور ، لدى الشخصية النامية (الجرذ) خاصة بعد فشل تجربته مع السلطة ، المال ، أعوان ذات اليد ،وحب الامتلاك .

كما ينبيء بالتغيرات التي طرأت على نفسية الجرذ ، ومنحاه الفكري وطريقة حياته ، وحتى مفرداته الكلامية ، في ميله نحو الزهد ، فعكست بذلك تاريخا من التحولات ، وأعطت قيمة ليس بطريقة عرضها للأحداث وإنما بفرزها لفئة اجتماعية كان موقفها واضحا من المال ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأخوة ..

وبذا فقد كمن في المكان أبعاد اجتماعية وفكرية وجوانب فنية . على أنّ الجرذ وإن أعدّ لنفسه (مائة حجر) إلا أنّ نفسه لم تألف مكانه ، ولم تطمئن الى الحياة فيه . وحين عرض عليه الغراب الانتقال منه الى غيره وافق سريعا دون تردد قائلا :

« واني ايضا كاره لمكاني [١] هذا » فربما كان ذلك لأن هذا المكان لا يمثل روحه الطيبة الصافية ، ورغبته في العيش مع الآخرين بسلام ، ، كما لا يمثل حبه للخير وللقيم وانما هو مكره عليه ملزم بحماية نفسه ، والدّفاع عنها في كل حين ، يقول مخاطبا الغراب :-

« وليس يمنعني من الخروج إليك سوء ظن بك ، ولكن قد عرفت أنّ لك أصحابا جوهرهم كجوهرك، وليس [٢] رأيهم في كرأيك » .

ويكاد يكون المكان هنا هو الشخصية ذاتها . حيث يبدو ارتباط الشخصية (شخصية الجرذ) بفعلها والذي يعني ارتباطا بالمكان نفسه من خلال الحوار بينه وبين الغراب وهو يختبره ثم من معايشته لتقسيمات الجحر ، ربط الجحر بما يحيطه ، وتأثير الخارج عليه وقد تمثل ذلك بعدم خروجه منه ، إلا عندما نادته المطوقة باسمه [٣] المعروف بينهما . وقد فعل الغراب ذلك بعد ذهاب الحمامة حين رغب في مصادقته والتقرب منه.

فالجرذ يرغب بالخروج من الجحر إلاّ أنّ مانعا ما – الأعداء والمتربصون – يجبره على العودة إليه والاحتماء به . فقد كان الجرذ فاقدا الحماية في الوسط الذي يعيش فيه . يقول الغراب معبرا عن ذلك ، وقد عرض عليه نقله إلى مكان آخر :

« وإن جحرك قريب من طريق الناس ، وأخاف أن يرميك بعض الصبيان بحجر » [٤]

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ٢٤٣ ، بيروت

(٢) نفسه ص ٢٤٢ بيروت

(٣) في المعتقدات القديمة : أن من يعرف اسم شيء أو انسان يملك قوة للسيطرة عليه او للتحكم به ، فاسم الانسان يحمل قوة في ذاته لانه يتضمن كيان الانسان وقوته . فمعرفة الاسم الحقيقي يُعد غالبا في الحكاية الخرافيه المفتاح السحري الذي يفتح الابواب ويبين الطريق الى الكنوز المدفونة.انظر : ديرلاين : الحكاية الخرافية ، ص ٨٣ – ٨٤

(٤) كليلة ودمنة ، ص ٢٤٣ بيروت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لذا رحّب الجرذ سريعا بالانتقال الى مكان اكثر أمنا ، حين تيسر له ذلك.، رغم أن المكان الجديد في عزلة . يقول الغراب :

« ولي مكان في عزلة، ولي فيه صديق من السلاحف ،وهو مخصب من السّمك ، ونحن واجدون هناك ما نأكل ، فأريد أن انطلق بك إلى هناك لنعيش آمنين » (١)

فوافق الجرذ سريعا ، لأنه كان يعيش وحيدا منعزلا ،والعزلة غالبا ما تكون مصحوبة بالألم ، ولكنه بالرّغم من عزلته يتوصل الى إنشاء علاقات وروابط غنية ، وذات معنى مع العالم الذي يحيط به ، فقد اتخذ لنفسه مائة جحر لأنه وجد نفسه فجأة ، يعيش في عالم عدائي ، عالم يريد به الشر بل الموت « فإذا صحّ أن الماضي كزمن يحفظ دائما بسجلات وبآثار علنية ، أو مضمرة في الذاكرة فإن المكان يشكل أحد أعمدة هذا الماضي (٢) » .

إن أمان الجرذ في المكان الجديد يأتي من الرفاق ، فالخير ينبع من الصداقة، والقوّة من الاتحاد ، فالحمامة ورفيقاتها كنّ مهددات ، وبائتلافهن ، استطعن النجاة . والأصدقاء كل منهم كان مهددا منفردا ، ولكنهم بالاتحاد والائتلاف استطاعوا النجاة والانتصار ، فالحياة الانسانية تصبح أقل قسوة حين يتقاسمها اثنان .. أو أكثر .

وفي معرض سرده لحكايته مع الناسك يبين الجرذ موقفه من الكرم ، والمال ، والصداقة

أما الكرم فيعرضه عن طريق مثل [المرأة والسمسم] وهي الحكاية الفرعية التي يرويها ضيف الناسك ، والحكاية المولدة داخلها [الذئب ووتر القوس](٣) ، فيبين أن الكرم قيمة ، ولكن الحرص والشره يتنافيان مع هذه القيمة ، ومع قيمة التضحية والإيثار ، وعاقبة صاحبهما وخيمة ، كما حدث للذئب .

ونجد الجرذ بعد سماعه المثلين ، واعتداء ضيف الناسك عليه يحارب في نفسه الحرص والشره ، ويهجر بيت الناسك ليتحول الى الزهد ، والى التبصر في الأمور قبل الاقدام عليها لأن ذلك من صفات العقلاء ، حيث تنسجم رؤيته بعد ذلك مع موقفه من المال(٤) والاصدقاء . إذ

---

(١) كليلة ودمنة ، ص٢٤٣ بيرت

(٢)ياسين النصير : الرواية والمكان ، ص ٤٥.

(٣) كليلة ودمنة : ص ٢٤٦ ، بيروت

(٤) سيأتي تفصيل المال لاحقا ، لارتباطه بالعقل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يدعو الى الشك في الأصدقاء ، لأن الصديق الوفي نادر الوجود ، فالاصدقاء يكثرون في أوقات الرخاء ، وينتثرون عند نزول النوائب الا من خلص منهم (فقيمة المال أن الانسان يكسب به الأخوان ولكنهم ليسوا إخوان الصفاء ، ثم يبين ضرر المال حين يحاول أن يجده فتأتيه المهانة بسبب ذلك غير أن السلحفاة تنبّهه الى أن اعتقاده هذا ليس صحيحا تماما لانه عائد لبقايا أمور هي في نفسه من حيث قلة ماله ، وسوء حاله واغترابه عن موطنه ، ثم تطلب منه أن يطرح ذلك عن نفسه [١] لأن «حسن الكلام لا يتم إلا بحسن العمل [٢] » حيث تبين له الرأي الذي تعتقد أنّه الصواب فيما ذكر . وتربط فهمها بالعقل .

فيؤكد سياق الحكاية إمكانية وجود الاصفياء من الاخوان ، الذين بهم ، يهون الكرب ، ويدوم السعد ويتجدد السرور .

حيث يبدأ المثل الثالث التطبيقي في الحكاية بدخول (الظبي) إلى مسرح الأحداث ..

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ٢٥٤ ، بتصرف .

(٢) نفسه ، ص ٢٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المثل التطبيقي – إخوان الصفاء (الجرذ ، الغراب ، السلحفاة ، الظبي)

إن المتأمل لباب الحمامة المطوّقة سرعان ما يكتشف أن الجزء الخاص بالحمامة المطوقة يعد بمثابة التمهيد او الاطار الذي يدعو الى الدخول لفهم الصورة التمثيلية أو التطبيقية للأفكار التي ضمّها ذلك الاطار . لولا اختلاف جوهري وهو أن الأفكار قد مثلت في الحلقة الأولى بشخص القائد ، وبينت قدرته على إذكاء روح البذل والتضحية في المجموع .

أما في المثل التطبيقي فنجد الجماعة (الرعية) تعمل متناغمة في بناء كلي واحد ، فتستطيع بذلك قهر قوى الشر ، وتحقيق الظفر والانتصار .

إنّ ظهور الصيّاد بأدواته من جديد هو ما حفز ادوار الاخوان ، إذ بعد انضمام الظبي إليهم نتيجة مبادرة السلحفاة بالتعرف إليه ، تواجه الإخوان عقبات ومحن متتالية ، يتعاونون على الخروج منها ،و ويتبادلون الأدوار في الحل والربط ، اذ احتاجوا في مواجهة المعتدي الى العقل والحيلة والصبر ، والى قوة كل واحد منهم ، وذلك بسبب أن الصيّادجعل يتربص بالظبي ، حتى أوقعه في حبائله ، وبعد أن نجح الأخوان في انقاذه على قاعدة التضحية والإيثار باعتبار أن (الفرد = المجموع) يرتبط الصياد السلحفاة فيتعاون الرفاق مجددا لانقاذها . حيث ترمز تلك العقبات إلى تقلب الانسان في حياته بين الشدة والرخاء لنكتشف بذلك دائرية الزمن في الحكاية.

يقول الجرذ معبرا عن ذلك ، وملخصا في الوقت نفسه موقفه من الحياة ، ونظرته في مشكلاتها التي لا تدوم على حال ، ولا يستقر بها مقام :

« ما أرانا نجاوز عقبة من البلاء إلا صرنا الى اشد منها (١) ».

على أن الحكاية تبرز في كل مرة صورة القانص (المعتدي – الصياد) ، الذي إن حقق مبدئيا بعض النّجاح ، فإنّه لا بد أن يصاب بالخيبة بعد كل مرّة، إذ لا ينال في النهاية – بفضل تعاون الاخلاء – إلا الفشل والاحباط .

وتظهر الحكاية أنه لم يقف به الحد أن يئس من الحصول على شيء في النهاية ، وإنما أيضا خولط في عقله . هذا التحول لا يرمز الى الموت ، وإنما يمثل بالأحرى غياب الانسانية الحقيقية

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ٢٥٩– ٢٦٠، بيروت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسبب عدم القدرة على التّصرف حسب القيم العالية ، ذلك الذي تعبر عنه الحكاية الشعبية بتحول الانسان الى حجر.

اجتمع (الإخوان – الاصدقاء) أخيرا « إلى عريشهم سالمين آمنين كأحسن ما كانوا عليه » [١] ، بفضل تعاونهم وتصافيهم ، حيث تقدم الحكاية العبرة أو الامثولة في النهاية . اذ يعود الفيلسوف الى العالم الواقعي للإنسان متخلصا من الرمز ليقدمه للملك – القارئ الإنسان ، قائلا:–

« فإذا كان هذا الخلق على صغره وضعفه قدر على التخلص من مرابط الهلكة مرّة بعد مرّة بمودته وخلوصها ، وثبات قلبه عليها ، واستمتاع بعضه ببعض ، فالإنسان الذي قد أعطي العقل والفهم ، وألهم الخير والشر ، ومنح التمييز والمعرفة ،أولى وأحرى بالتواصل والتعاضد .

فهذا مثل إخوان الصفاء وائتلافهم في الصحبة » [٢] .

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ٢٦٢ ، بيروت

(٢) نفسه ، ص ٢٦٢ – ٢٦٣ ، بيروت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن تقنية السرد القصصي في حكاية « الحمامة المطوّقة » تحضن مفهوما خاصا عن المسؤولية وعن صراع الخير والشر ، فالحمامة تمثل أنا « فردية » في مواجهة الشر [١] ، او في معاناتها من أشراك الصياد وحيلة وألاعيبه ، وأخرى جماعية» مرتبطة بسرب الحمام الذي تنتمي إليه في المجتمع ، وبأمنية التغيير فيه ، فيتحقق لها ذلك في امتداد فكرها وشخصها في الاخرين ، مما يعكس قدرة القائد إذا كان صالحا على تحويل الأفكار المجرّدة إلى واقع ملموس في أوسع نطاق اجتماعي قد تصل اليه . فحين تنبه « المطوّقة » ، رفيقاتها الى ضرورة تكاتف القوى ، وترك التخاذل ، فذلك يعني أن الحمام كان لديه شك بقدراته الخاصة وبنفسه ، وبما يمكن أن يفعله عقله من أجله ، ولكن الحمامة القائدة تعلمّ السرب :-

إن رؤية مسبقة وذكية مرتبطة بعمل جدي تسمح لنا أن نتغلب على أسوأ أعدائنا ، فأخرجت بذلك المجموع من دائرة الجهل الى دائرة العلم .

إن نجاح الأبطال في تحقيق الأخوة الصافية يشير إلى أنّه لا يوجد إلا طريقة واحدة للتخفيف من آلام قصر الحياة ، وكونها مليئة بالصّعاب والمشكلات الدائمة وهي :-

إنشاء روابط سعيدة مع الآخرين ، وعندما ننجح في ذلك تقول الحكايات الشعبية إننا نصل الى الذروة في الأمان العاطفي في الحياة ، ونضع يدنا بذلك على العلاقة الأكثر استمرارا التي يستطيع الانسان الحصول عليها ، وهذا وحده يمكن أن يشتت الخوف من الموت . كما أننا عندما نجد الحب الناضج الحقيقي لا نعود بحاجة الى تمني حياة أبدية ، لأن الحياة تصبح عريضة عميقة ، وغنية ، وذلك غاية ما يتمنى الانسان ، الذي عمل جاهدا – منذ وجوده – لجعل هذا الكون مكانا ملائما صالحا للعيش فيه عن طريق حل المشكلات الطبيعية التي تواجهه ، ثم اكتشف أنه وإن استطاع الوقوف في وجه الكوارث الطبيعية فإنه لا يستطيع أن يرد عن نفسه خطر أخيه الانسان ، لذا جاءت الدعاوي الى السلم ، والمطالبة بالعدل والحرية للجميع تعبيرا عن حاجة الانسان الملحة والدائمة الى الانس والذي يصعب تحقيقه إلا من خلال الأخوة الصافية ، فالانسان الذي ينشيء علاقات حقيقية مع الاخرين يضمن في أغلب الأحيان حلا لمشكلاته ، أو على الاقل يأمن القلق الذي يشل التفكير في الملمات الحرجة والصعبة ، فيعمل على حل

---

(١) كما يمثل الجرذ أنا « فردية » في مواجهة عالم مليء بالاشرار .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مشكلاته جزئيا حتى يتيسر الحل الكامل بمعونة المعارف والاخوان .

اذ يشكل الأفراد في علاقاتهم المتبادلة الاجتماع البشري ،والمحبة الانسانية هي الجاذب والمستقطب لهذا الاجتماع ، وحين تنفقد هذه المحبة يظهر التفكك الاجتماعي فيعود الناس إلى فرديتهم وأنانيتهم ، وهذا يغذي بطبعه عملية الصراع الفردي ، وذهنية الانعزال والانقطاع .

وفي خضم هذه الصراعات الاجتماعية والفردية تتكشف عورات المعاملات البشرية ، وعيوب الناس الخاصة والعامة ، فتصور الحكاية أنّ الناس يؤذون بعضهم حينذاك أكثر مما ينتفعون من تضامنهم الاجتماعي ، وأنّهم يتنصلون من مسؤلياتهم ، فتحرض الأفراد الاعتماد على أنفسهم ، والتّعقل ، والأخذ بالمشورة ، والتفرد في تحكيم العقل ، ثم تتكشف لنا بالحكاية ، عملية تماثل الناس في علاقاتهم ، والفوارق بينهم ، وضرورة التواضع بالرغم من هذه الفوارق ، وتحذر من الاستهتار بالناس ، كماتشدّد في الوقت نفسه على الصداقة ، وتأليف الإخوان ، وحسن المعاملة ، ويبقى أن مصالح الناس هي المحرك الرئيسي لعلاقاتهم وصراعاتهم .

على أنّ أحداث الحكاية لم تكن تشير الى واقع فحسب ، بل إلى واقع يلح في طلب التغيير من أجل الوصول الى المثال . ومن هنا غابت شخصية « الحمامة المطوّقة » لتحل محلها في كل مرّة شخصية من شخصيات إخوان الصّفاء (الجرذ ، الغراب ، السلحفاة ، الظبي) في التعامل مع المشكلات ولتصبح هذه الشخصية المثال الاجتماعي الفعّال الذي يرى أن الأخوة الحقّة لا تكون إلا في الأفعال والسلوك وفي العمل والبناء ، لا في الأقوال والمواعظ ، ويراه في الصمود في العون على الحق الذي لا يرتبط بالمال والسلطان . وفي البذل والعطاء لا في التّأوه والتفجع والكذب ، ويراه في إغلاق باب الراحة والاستسلام ، وفتح باب الجهد . مع العلم والمعرفة والشجاعة ، وليس مع الجهل والغباء .

وحكاية الحمامة المطوّقة لا تلبث أن تسير مع الغاية منها ، ملتحمة مع القصص الأخرى، في حين تستمر قصة « الجرذ» بوصفها مغامرة في حد ذاتها ، منسجمة في الوقت نفسه مع الحكايات الاخرى ، إذ تصور صراع الإنسان مع تقلبات الدّهر ، وتصاريف الزمان ، كما تصور الحكاية عامة سعي الجرذ والغراب والسلحفاة والظبي ،الدائم الى الامن ،وحاجتهم الملحة إلى الأنس . هذان الهدفان اللذان قد يتحقق بتحققهما أهم شروط السّعادة ، وضرورات البقاء للإنسان كجزء من سعي الأبطال جميعا ، كما الناس جميعا في حياتهم اليومية إلى حياة أكثر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنسانية.

والبطل الذي يخوض هذا الصراع ، ويسعى إلى حل المشكلات بمواجهتها ، ويحاول الاقتراب ما استطاع من الفعل الإنساني بتقليل فرص حدوث الصدفة في حياته ، غالبا ما يفوز في النهاية .

وبهذا تعود النهاية لتعكس البداية ، وتلتحم معها في بناء كليّ هو جوهر الرسالة التي ترسلها الحمامة المطوقة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

البوم والغربان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعركة والانتصار : -

يأوي البوم الى الأماكن المهجورة ويتخذها مقرا لسكناه وكذلك تفعل الغربان ، وربما لهذا نستطيع أن نفهم قربهما في المكان . باعتبار أن الخصومة لم تكن بسببه ، فمن محددات سكنى الغربان : « شجرة من شجر الدوح في جبل من [١] الجبال »

ومن محددات سكنى البوم : « كهف عند شجرة الغربان [٢]» .

إنّ التجاور في المكان يقتضي في الغالب الصداقة وعلاقات المودة والإخاء ،ولكن الأمر متباين في مثل هذا الموقف الذي تقوم فيه العلاقة على العداء .

في شجرة الدوح « وكر ألف غراب وعليهن وال من أنفسهن [٣] . وفي الكهف القريب من الشجرة « الف بومة وعليهن وال من انفسهن [٤] »

التكافؤ إذن ظاهر في النزاع (ألف مقابل ألف » يشتركان في طبيعة واحدة وهي الطيران، وعلى أرض ذات طبيعة واحدة أيضا أو متقاربة تتمثل في (الجبل) ، يسكن البوم في أحد كهوفه في حين تعيش الغربان على شجرة فوقه .

إن كلا من الطرفين المتخاصمين يسعى للانتصار في صراعه مع خصمه . والغلبة على عدوه ، ولكن خطة المعركة لأي منهما كانت مختلفة ، ففي الوقت الذي آثر فيه البوم استخدام المناورة الاستراتيجية والقوة المادية ،اعتمدت الغربان على الحيلة والتكتيك لإنجاز ذلك الانتصار .

---

(١) كليلة ودمنة : ص ٢٦٥

(٢) كليلة ودمنة :- ص ٢٦٥

(٣) كليلة ودمنة :- ص ٢٦٥

(٤) كليلة ودمنة :- ص ٢٦٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغارة :-

بادر البوم بالاعتداء على أمن الغربان ، وانتصروا مبدئيا في الغارة التي شنّوها على أعدائهم بسبب بنائها على أسس مدروسة ، وهي :-

١- التمهيد للعدوان : -

أ- الإيهام والتمويه والكتمان :- يتغذى البوم على الآفات الزراعية مثل القوارض والحشرات ، مما يقتضي خروجه للبحث عن الطعام ، أما خروج الملك لهذا الغرض فمما يثير الاستغراب . فلم يخرج ملك البوم في أصحابه معلنا الغارة على الغربان وإنما مهّد لذلك أن أوهم الآخرين باعتياده الخروج فترة من الزمن صباحا ومساء في اصحابه لبعض حاجاته ، حتى إذا ما أمنته الغربان ، واطمأنت إلى العادة الجديدة التي درج عليها ، أغار عليهم في اصحابه ، فقتل وسبى منهم خلقا كثيرا .

ب- الاجماع :- فقد كان ملك البوم وأصحابه يضمرون العداوة للغربان وملكها ، إنّ اجماع الرأي على عداء الغربان ومحاربتها ،ساعد على نجاح الغارة .

جـ- العلم بالمكان :- من أهم اسباب نجاح الغارة علم البوم بمكان الغربان ،حيث أغاروا عليهن في أوكارهن ممايكشف عن إهمال الغربان وتهاونهن بأمر البوم الذي يقطن على مقربة منهن، وهنّ يجهلن ذلك ، فلم يحتطن لأمرهن بالتحرز وبث العيون وملازمة التوقي ، مما يجعلنا نفهم غدوات ملك البوم وروحاته على أنها كانت جولات استطلاعية بهدف استكشاف مكان الغربان ، وطبيعته الجغرافية ، وطبيعة حياتهن ، بتتبع احوالهن لمعرفة مواضع الضعف التي يمكن أن يؤتين منها .

د- المباغتة :- وتضمن هذا العنصر اختيار الزمان المناسب وهوالليل ، إذ يتميز البوم بنشاطه الليلي ، في حين تأوي الغربان الى أعشاشها ليلا ، لتسكن فيها بأمان حتى الصباح ، فلا تتخذ العدة لنفسها بسبب الإرهاق الناجم عن العمل طوال النهار ، كما لا تستطيع استدراك ذلك بسبب وقوعها تحت عنصر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المفاجأة ، فلا تبادر الى حماية نفوسها أو الهرب ، بل لا يمكنها أن تبارح مكانها ، وتبقى في موقف الدّفاع في حالة فوضى وتخبط وفزع.

نتيجة الغارة : -

نستطيع التماس النجاح الذي حققه البوم من شكوى الغربان لملكهن ، فقد أوقع البوم في نفوس الغربان الهيبة منه ،وكشف عن ضعفهن، فقد اجتمعت الغربان حين أصبحت الى ملكها ، وقلن له :- « قد علمت ما لقينا من ملك البوم ، وما منا الا من أصبح قتيلا أو جريحا ، أو مكسور الجناح أو منتوف الريش أو مهلوب الذّنب ، وأشدّ ما أصابنا ضرا جرأتهن علينا ، وعلمهن بمكاننا ، وهنّ عائدات إلينا غير منقطعات عنا[1] لعلمهن بمكاننا » .

إن الحاجز النفسي الذي أقامه البوم في نفوس الغربان ، والمتمثل بخوف الغربان من معاودة البوم الغارة عليهن ، هو أعظم نصر حققه البوم، وقد استوجب هذا البعد النفسي ربط العقد ، بين الغربان ،وملكهن .

(١) كليلة ودمنة :- ص ٣٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العقد :-

لقد وعت الغربان منذ انتهاء الغارة حاجتهن الى القيادة الحكيمة الواعية ، فذهبن صباحا الى الملك ، حيث قام العقد بين جماعة الغربان وملكهن ، وقد تعهدت فيه الجماعة بطاعة الملك ، وحماية ملكه ، على أن يعمل على حمايتهن من المعتدي ، وقيادتهن الى ما فيه مصلحته ومصلحتهن . قلن: « فإنما نحن لك أيّها الملك فانظر لنا ولنفسك » [1] . حيث يمكن تمثيل هذه الوحدة على النحو التالي : -

الطرف الاول	موضوع التعاقد	الطرف الثاني
جماعة الغربان	السيادة للملك ، والرعية في طاعته ، مقابل العمل على حماية المجموع .	الملك

النتيجة :-

التزام الملك بالعقد ، إذ لجأ الى استشارة خمسة من علماء الغربان بالأمر « معترف لهن بحسن الرأي ، يسند اليهن في الأمور ، وتلقى إليهن مقاليد الأحوال وكا ن الملك كثيرا ما يشاورهن في الأمور ويأخذ آراءهن في الحوادث[2] والنوازل »

أما الأول والثاني فقد ارتأيا الهرب من العدو ، فرد الملك رأيهما بعد تمحيصه . وأشار الثالث ببث العيون لمعرفة ما يريد العدو ، الصلح أم الفدية ؟ وجعل الأموال جنة البلاد والملك والرعية .

أما الرابع فقد خلص الى محاربة العدو .

إن استشارة الملك للغراب الخامس أدّت الى قيام الأخير بإنجاز مهمة صعبة .

---

(١) كليلة ودمنة :- ص ٢٦٥

(٢) كليلة ودمنة :- ص ٢٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المهمة الصعبة وإنجازها :-

لقد سعى الغراب الى الرد على المعتدين وهم (جماعة البوم) ، ولكن ليس بإعلان المعركة ضدهم ، وإنما بالرفق والحيلة ، وقد كشف للملك عن غايته منذ البداية حين أطلعه عليها سرا ، فأعانه الملك بالتمهيد لانجاز تلك المهمة . قال الغراب للملك : «وإني أريد من الملك أن ينقرني على رؤوس الأشهاد وينتف ريشي وذنبي * ، ثم يطرحني في أصل هذه الشجرة ويرتحل الملك وجنوده الى[1] مكان كذا . »

ففعل به الملك ما أراد بعد أن وثق بصدقه واطمأن الى طيبة نفسه فيما نوى فعله **.

الاستجارة :-

عاد ملك البوم ليلا ليوقع بالغربان فلم يجدهم، ووجد الغراب ، فسأله عن اسمه وحاله ، فأُخبر أنهّ وزير ملك الغربان ، ولكنّ الغراب ادّعى أن ذلك كان قبل اعتداء البوم على الغربان ، وأنّه الآن ليس ممن يعلم الاسرار ، ويقصد مستشاري الملك ومقربيه وأصحاب أمره وبطانته ، وأنّ ملك الغربان فعل به ما يرى بسبب رأيه في البوم ، وموقفه من قتالهن ، إذ رأى أنّ الصلح أفضل من الخصومة ، فاتهمته الغربان بممالأة البوم ، أي بالخيانة والتجسس فعوقب على ذلك بما يرى منه ملك البوم ، حيث رحلت الغربان ، وتركته وحيدا .

الاستشارة :- قام ملك البوم على إثر ذلك باستشارة أعوانه بشأن الغراب ، فأشار واحد منهم فقط بالمعاجلة في قتله وعدّ ذلك فتحا للملك ، لأنه رآه أفضل عدد الغربان ، قال للملك: « ما ارى إلا المعاجلة له بالقتل ، فإن هذا أفضل عدد الغربان ، وفي قتله لنا راحة من مكره، وفقده على الغربان شديد، فاذا قتل ثل ملكهم وتقوض، وما أراه إلا فتحا قد أرسله الله[2] إليك»

---

* ان نتف الريش عند الغربان يعني استصغارا لشأن الغراب المنتوف ، حتى يصبح مثل الصغار بغير ريش وأحيانا يضاف إلى عقوبة التأنيب أو نتف الريش عقوبة الطرد من الجماعة .

انظر احمد بهجت :- قصص الحيوان في القرآن ، ص ١٩

(١) كليلة ودمنة : - ص ٢٨١.

(٢) كليلة ودمنة : - ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

**وكان الغراب قد روى حكاية في ما يمكن أن تقدمه الحيلة من فرج وفتح وهي حكاية [الناسك والغريض واللصوص]

انظر الحكاية :- كليلة ودمنة ، ص ٢٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيد أن ملك البوم رجا أن ينفعه الغراب بعقله ، فأبقى عليه ولم يقتله ، بناء على نصيحة أحد أعوانه الذي عدّ الغراب لاجئا طالبا للحماية والاستجارة والأمن ، فإن « العدو الذليل الذي لا ناصر له أهل لأن يؤمن لا سيما المستجير الخائف ، والعدو إن صدرت منه المنفعة ، ولو كان غير متعمد لها أهل لأن يصفح عنه بسببها » (١)

فرّق تَسُد : – قبل ملك البوم الإبقاء على الغراب لرأي آخر وهو المبدأ الذي تقوم عليه سياسة « فرّق تسد » إذ إنّ العاقل يرى معاداة بعض أعدائه بعضا ظفرا حسنا ، ويرى اشتغال بعض اعدائه ببعض خلاصا لنفسه منهم ونجاة » (٢) .

وقد ذهبت محاولات البوم العاقل الذي أشار بقتل الغراب سدى ، بسبب أنّ ملك البوم أمر باكرام الغراب .

نجاح المهمة : – لقد نجحت خديعة الغراب الذي انتظر حتى طاب عيشه ،ونبت ريشه،واطلع على ما أراد الاطلاع عليه ، فراغ روغةٍ ، أخبر بها ملك الغربان بمكان البوم، وبالطريقة المثلى للقضاء عليهم مقدما تفصيلا بذلك .

الانتصار – انتصارالبطل :– إذا كانت المهمة قد انجزت بنجاح فإنها تنطوي على انتصار ذي ثلاثة أبعاد :–

الأول : يختص بالغراب . والثاني بملك الغربان ، والثالث بالعقل الذي وقف وراء فعل الاثنين .

وقد انتصر الغراب لأنه امتلك ميزات أهلته للدور الذي قام به ،وكاد أن يدفع حياته ثمنا له، وتتمثل تلك الميزات في :–

١– **الصبر** :– قال الغراب في مطلع أمره بعد أن طلب من الملك أن يوقع به الضرر :« فإني أرجو أني أصبر ، وأطلع على أحوالهم ،ومواضع تحصينهم وأبوابهم ، فأخادعهم وآتي إليكم لنهجم عليهم ، وننال منهم غرضنا إن (٣) شاء الله»

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ٢٨٤ – ٢٨٥

(٢) نفسه ، ص ٢٨٦

(٣) نفسه ، ص ٢٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم في سؤال ملك الغربان له ، بعد نجاح المهمة قائلا : « كيف صبرت على صحبة البوم ولا صبر للأخيار على الأشرار »[١]

حيث يبدو ضبط النفس والاقدام ، كما تبدو الشجاعة في ثبات الغراب على المضي نحو نمايته ، إذ لم يفقد رشده حين أشار البوم العاقل بقتله ، ولم يبد تراجعا أو محاولة للهرب ، وإنما استكمل أداء الدور بحنكة وذكاء ، وقد برّر ذلك بقوله : « ولكن العاقل إذا أتاه الأمر الفظيع العظيم الذي يخاف من عدم تحمله الجائحة على نفسه وقومه ، لم يجزع من شدة الصبر عليه لما يرجو من أن يعقبه صبره حسن العاقبة ، وكثير الخير »[٢] « وكذلك كان صبري على ما صبرت عليه التماسا لهذا النفع العظيم الذي اجتمع لنا فيه الأمن والظفر وهلاك العدو والراحة منه »[٣]

٢- **كتم السر** : فقد عاب على جماعة البوم استرسالهن اليه ،وعدم اخفائهن السر دونه ، وقد كان من الممكن قتله ، فأخفى أمره حتي تم له ما أراد ، كما جعل معرفة سر حيلته مقتصرا عليه وعلى الملك دون جماعة الغربان ، للتوقي والاحتراز

٣- **تنحيته الانفة والحمية** عن نفسه ابتغاء تحقيق مراده وما يصبو اليه ، قال « إنّ من احتمل مشقة يرجو نفعها ونحى عن نفسه الانفة والحمية ووطنها على الصبر حمد غب[٤] رأيه »وعرض لذلك مثل [الأسود وملك الضفادع] [٥]

٤- **قدرته على المكر والحيلة** ، ويتجلى في إظهار تودده لملك البوم ومعاداته للغربان ، وإبداء الصفاء وحسن النية ، قال « ووجدت صرعة اللين والرفق أسرع

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ٢٩٤-٢٩٥ .

(٢) كليلة ودمنة ، ص ٢٩٥ .

(٣) كليلة ودمنة ، ص ٣٠٠.

(٤) كليلة ودمنة ، ص ٢٩٧ .

(٥) انظر الحكاية :- كليلة ودمنة ، ص ٢٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأشد استئصالا للعدو من صرعة المكابرة والعناد »[١]

٥- **احترام العقل** : - فإنه رأى في وزير ملك البوم الذي أشار بقتله الحكمة والفلسفة والحزم بسبب رأيه في قتله ، وأنّه لم يكن يكتم صاحبه نصيحته وإن استقلها وكان في ذلك رفيقا ليّنا ، لا يجد ملكه الى الغضب عليه سبيلا .

٦- **تلازم علمه بعمله** : - قال فيه ملك الغربان :« وقد وجدتك صاحب العمل ووجدت غيرك من الوزراء أصحاب أقاويل ليس لها عاقبة حميدة فقد منّ الله علينا بك منّه عظيمة لم نكن قبلها نجد لذة الطعام والشراب ولا النوم ولا القرار» .[٢]

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ٣٠٠ .

(١) كليلة ودمنة :- ص ٣٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحكايات الفرعية :-

لقد روى كل وزير من وزراء ملك البوم حكاية للملك يثبت فيها صحة رأية فيما استشاره الملك به .

أما الوزير الذي أشار بقبول استجارة الغراب لعلة المنفعة ، ولو كان غير متعمد لها ، فقد روى للملك مثل [التاجر وامرأته واللص [١]] . وفيه يكشف البوم عن رغبته في السلم ومصالحة العدو ، إذ تسوّر لص بيت تاجر كثير المال والمتاع ، وكان بين التاجروامرأته وحشة . فذعرت الزوجة ، وأيقظت التاجر الذي كان نائماً ، ولم يكن يجري بينهما كلام ، فتكالما ، وانحلت الوحشة بينهما ، فعفا التاجر عن اللص لفضله بما أصلح بينهما .

وقد وضع البوم الغراب في هذه الحكاية موضع اللص (السارق) ، حيث تشيع في الحكاية روح التهكم والسخرية ، والتسامح ، حين يعفو الزوج عن اللص .

لقد تعامل البوم مع الغراب حين رمز له باللص باعتباره الأضعف أمام جماعة البوم (التاجر القوي بماله ومتاعه) ، فالبوم قد انتصروا على جماعة الغربان ، فما يضرهم غراب مستجير خائف إن عفوا عنه ، وحاولوا الاستعانة به على قومه ، فلعله يكون سببا في الصلح بينهم إن لزم الأمر .

أما الوزير الآخر الذي أشار على الملك بإبقاء الغراب والإحسان إليه ابتغاء نصيحته ، فقد روى للملك حكاية [الناسك واللص والشيطان [٢]] وفيها أن ناسكا ، أصاب من رجل بقرة حلوبا . فانطلق بها الى منزله ، فتبعه لص أراد سرقتها ، وتبعه شيطان يريد اختطافه، وقد تزيا له بزي إنسان ، فاختلفا من يبدأ بفعله أولا ،فانتبه الناسك وجيرانه بأصواتهما ، فهرب الخبيثان .

إن البقرة الحلوب التي اصابها الناسك ، هو النصر الذي حققته جماعة البوم ، والذي يمكن أن يستثمر ويحقق نتائج ايجابية أخرى للبوم لو أرادوا، واللص الذي أراد سرقتها هو الغراب الذي أراد اقتناص هذا النصر باعتباره عدوا ، يظهر في صورة صديق ناصح .

---

(١) انظر الحكاية :- كليلة ودمنة :- ص ٢٨٥ ، بيروت

(٢) نفسه ، ص ٢٨٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ اختطاف الشيطان للناسك يعني القضاء عليه ، وذلك ما تسعى جماعة الغربان اليه من قضاء على جماعة البوم .

ولكن اختلاف الغراب مع جماعة الغربان فيه صلاح للبوم التي ستستفيد من هذا الانقسام لاتمام القضاء على الأعداء كما في اختلاف اللص والشيطان من صلاح للناسك .

إن البوم في نصيحته الملك يدعوه الى الاستفادة من سياسة « فرّق تسد » إذ في اشتغال بعض أعدائه ببعض خلاصا لنفسه منهم .

انفرد الوزير الذي اشار بقتل الغراب بحكايتين الأولى : في الرد على الوزيرين اللذين أشارا على الملك باستبقاء الغراب والإحسان اليه والثانية في الرد على الغراب وتوبيخه ، وكشف ما يضمره للبوم من عداء .

وقد روى الحكاية الأولى للملك والوزيرين بسبب انخداعهم بكلام الغراب ، وعبّر عن ذلك بقوله :« أظن أنّ الغراب قد خدعكن ، ووقع كلامه في نفس الغبي منكن موقعه فتردن أن تضعن الرأي في غير موضعه ، فمهلا مهلا أيها الملك عن هذا الرأي ، ولا تكونن لما تسمع أشد تصديقا منك لما ترى كالرجل الذي كذب بما رأى وصدق ما سمع وانخدع[1] بالمحال ، وفي مثل [الرجل واللصوص[2]] يحذر (البوم الناصح) ملك البوم من الغفلة ، ويدعوه الى مضاعفة التحرز واليقظة ، لأنّ هذا الغراب المتظاهر بالضعف ، عدو كامن يترصد غفلة البوم ليقتنصها ، مخفيا مكره ودهاءه ، يتحين الفرص للنيل من البوم بكشف اسرارها ، فإن لم يكن الملك ينوي قتله وقد تمكن منه فليحذر جانبه ، وليكن رقيبا عليه ، ففي حكاية [الرجل واللصوص] يعد (البوم الناصح) الغراب ممثلا لجماعة اللصوص وهم اصحابه الغربان الغائبون ، ولكن الغراب الأريب فيهم حاضر في وطن أعدائه البوم . بينما يعد ملك البوم وجماعة البوم مكان الرجل المغفل صاحب البيت الذي اقتحمه اللصوص ، فانطلت عليه خديعتهم فمكنهم من نفسه ، فنالوا

---

(١) كليلة ودمنة :- ص ٢٨٧ - ٢٨٨ ،بيروت .

(٢) نفسه ، ٢٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منه ، دون أن يشعر لغفلته وسذاجته ، وإفراطه في الثقة بأعدائه، رغم أنهم اقتحموا عليه بيته بغرض سرقته .

النتيجة :- أن ملك البوم لم يلتفت الى قوله ، وأمر بالغراب أن يحمل الى منازل البوم ، ويكرم ، ويستوصى به خيرا .

والحكاية الأخرى التي رواها (البوم الناصح) كانت ردا على قول الغراب المحتال أمام الملك من أنه لا يجد الراحة دون الأخذ بثأره من قومه (الغربان) « وقد روى عن العلماء أنهّم قالوا : من طابت نفسه بأن يحرقها فقد قرّب لله أعظم القربان ، لا يدعو عند ذلك بدعوة إلاّ استجيب[١] له » .

فطلب الغراب من ملك البوم أن يأمره فيحرق نفسه ، ويدعو ربه أن يحوله بوما فيكون أشد عداوة للغربان وأقوى بأسا عليهن لعله يبلغ مراده منهن فوبّخه البوم الذي أشار بقتله أمام ملك البوم ، وشبهه في خير ما يظهر، وشر ما يضمر، بالخمرة الطيبة الطعم والريح المنقع فيها السم ، قال مخاطبا الغراب : « أرأيت لو احرقنا جسمك بالنار ، أن جوهرك وطبعك متغير ، أوليست اخلاقك تدور معك حيث درت ، وتصير بعد ذلك الى اصلك وطينتك[٢]؟ »

وفي حكاية [الناسك والفأرة المحولة جارية[٣]] وهي حكاية الاصل والطبع ، دعا النّاسك الله أن يحوّل الفأرة إلى جارية ، فاكتست بمظهر إنساني ولكنّها حافظت على طبيعتها الحيوانية في النهاية ، باختيارها الجرذ زوجا لها .

لقد أراد (البوم الناصح) وزير ملك البوم . أن يؤكد للملك من خلال الحكاية أن الإنسان يظل نفسه رغم كل صور التحول ، فالعدو لا يمكن ان يصبح صديقا ، وإن أظهر تضرعا وملقا .

ومع ذلك، لم يلتفت ملك البوم الى ذلك القول، ورفق بالغراب ، ولم يزدد له إلا إكراماً.

---

(١) كليلة ودمنة :- ص ٢٩١ ، بيروت

(٢) نفسه ، ص ٢٩١

(٣) نفسه ، ص ٢٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد ركز الفيلسوف ادبيات الحكمة على قيمة الكلمة ، حيث يمكننا تقديم فهم عميق وشامل لذلك من خلال دراسة وظيفتي :

(الخصومة والاستشارة) في الحكاية عامة * :-

الخصومة : - إن الخصومة تعني الصراع ، الذي إما أن يكون بسبب البحث عن الأمن ، أو الاعتداء على الأمن .

والخصومة في الحكاية باعتبارها وظيفة كبرى يندرج تحتها عدد من الوظائف الصغرى ، وهي :-

١- **الخصومة على السيادة** :- لقد قامت العداوة بين البوم والغربان بسبب كلمة تكلم بها غراب ، ذمّ فيها البوم ،ووصفهم بالخبث والخديعة والشؤم والمكر وسائر العيوب ، « وشر الملوك الخادع [١] » .

إن الكلمة هنا ، الموصوف بها البوم تعني العقل والرأي والحكمة التي ينافس كل فريق لامتلاكها لتكون له السيادة على غيره ، وليكون القرار بأمره .

٢- **الخصومة على الوطن** :- تمثل الصراع على المكان في حكاية [الصفردوالارنب والسنور[٢]]إذ سكنت الارنب في مكان سكنه قبلها الصفرد ، وكان أن غاب زمنا ثم عاد يريد منزله ، فأبت الأرنب أن تخرج منه ، فلجأ الاثنان الى قاض قريب منهما ليفصل بينهما هو « السنور » ، لما عرف عنه من إظهار التقوى والصلاح .

٣- **الخصومة على الماء** : - ان الصراع على مصادر الرزق وخاصة الماء أمر مألوف في النزاعات بين الناس ، ويتمثل هنا في صراع الأرانب مع الفيلة ،

---

* المقصود بالحكاية عامة : الحكاية الرئيسية ، والحكايات الفرعية المتونسة فيها .

(١) كليلة ودمنة : - ص ٢٧٥ ، بيروت ،

(٢) نفسه ، ص ٢٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللواتي نضب لديهن الماء فجئن الى ارض للأرانب بغية الشرب من عين ماء فيها ، مما أضر بالأرانب ، وأساء إليهن .

٤- **الخصومة على المال** : إن المال باعتباره قوة ، محرك للصراع ، وإن كان يتمثل بصورة مادية هي (البقرة) في حكاية [الناسك والغريض واللصوص[١]]

اذا كان البحث عن الأمن في الخصومة وظيفة كبرى ، فإن الاستجارة التي قام بها الغراب بعد اعتداء البوم على أمن الغربان ، هي وظيفة صغرى ، تهدف ظاهريا للبحث عن الأمن وإن كانت مختلفة الدلالة في الحقيقة .

---

(١) نفسه ، ص ٢٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستشارة :-

استشارة الكراكي للغراب : - لقد قامت العداوة بين البوم والغربان بسبب كلمة تكلم بها غراب ، والحكاية التي رواها (المستشار الناصح) لملك الغربان تقول :- إن جماعة من الكراكي لم يكن لها ملك أجمعت أمرها على أن تملك عليها ملك البوم ، فاستشرن في ذلك غرابا ، فقبح الغراب البوم ، واتهمهن بشر الصفات ، فسمعه واحد من البوم ، فغضب ، ونقل ما سمعه من الغراب الى ملك البوم ، فقامت عند ذلك العداوة بين البوم والغربان .

إن استشارة الكراكي للغراب تنم عن فطنة الكراكي ، ولكن إجابة الغراب تنم عن تسرعه ، وقلة خبرته ودرايته ، وقد ندم الغراب على ما أبداه من رأي في البوم ، وعدّ نفسه جاهلاً ، لأنّه لم يستشر أحداً قبل أن يقول رأيه ، إذ ولدّ رأيه الذي اعتقد فيه الصواب ، العداوة بين قومه وبين البوم ، قال : « والله لقد خرقت في قولي الذي جلبت به العداوة والبغضاء على نفسي وقومي [1] » فينبغي لمن يكون جاهلاً في الأمور أن يستشير من هو أعلم منه ، ونجد الاستشارة هنا في شكل مركّب ، الشكل الثاني فيها يحدد علاقة القوم ، بالأقوام الآخرين ، ضمن ارتباطاتهم المصلحية ، لهذا يعد رأي الغراب الصريح تفريطاً لأنّه أبدى رأيه في جماعة ، لجماعة ، أي أنّه انفرد برأي كان ينبغي أن يستشير فيه علماء قومه ، كما انحاز إلى الكراكي على البوم ، رغم أنّ لا مصلحة له أو لقومه بذلك ، بل وولّد في نفوس الكراكي اشمئزازاً من البوم ، وجعلهن ينحين تمليك البوم عليهن .

لقد عدّ البوم ذلك عداء علنياً من جماعة الغربان ، وإساءة ظاهرة لهنّ تهدف إلى الانتقاص منهن ، بإسقاط منزلتهن في الناس ، باعتبار أنّ الإنسان في حياته يطلب ذلك الشرف ، لأنّه يحمل معنى السيادة والرفعة ، والمعرفة والقدرة ، والإمتيازات المتعددة اللاحقة لذلك .

---

(١) كليلة ودمنة :- ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عاتب الغراب نفسه على تفريطه بقوله « أوليس من سفهي اجترائي على التكلم في أمر لم استشر فيه أحداً ، ولم أعمل فيه رأياً ، ومن لم يستشر النصحاء والأولياء ، وعمل برأيه من غير تكرار النظر والروية لم يغتبط بمواقع رأيه [١] » .

٢ – استشارة ملك الغربان لذوي الرأي من بطانته : إنّ استشارة الملك لبطانته مهمة لأنّها تنبيء عن ضعف رأي الملك أو قوّته ، حيث تظهر صورة مشرقة لملك الغربان الذي كان يستشير بطانته ، فيمحص آراءهم ، ويرد ما يعتقد أنّه يجانب الصواب منها ، فالمشورة عنده راجعة إلى حذره وعلمه بالأمور ، من حيث إنّه وافق الغراب الخامس فيما أشار به عليه ، وأعانه على إنجاز المهمة الصعبة ، ورأى في ذلك مصلحة للغربان ، واعتمد الرفق والحيلة لدفع الأذى ، بدلاً من بذل النفوس والأموال ، فكان أن أنقذ غراب واحد عاقل ،جماعة الغربان .

لقد أدّت استشارة الملك للعالم إلى خلاص الملك والرعية من المعتدي الأثيم وتحقيق الظفر والنجاح .

فالملك من ناحية مطلقة هو الأعلم ، ولكن من ناحية عملية ، فإنّه يستشير وزراءه ، فالحكمة من ناحية أنّه يستشير ، لأنّ « الملك المستشير يزداد برأي وزرائه بصيرة ، كما يزيد البحر بمجاوره من الأنهار [٢] » .

والوزير الناصح له كلمة في كل شيء يهيء للبطانة ، ويصحح للملك ،ويسدد خطواته ، فإذا ترك الملك الاستشارة وانفرد برأيه تضعضع بناء الدولة ، وأصبح ملكه عرضة للخلل والفساد ، كذلك عند انحراف الوزير. «فإنّ وزراء الملك إذا كانوا صالحين وكان يطيعهم في آرائهم لم يضر في ملكه كونه جاهلاً ، واستقام أمره » .

---

(١) كليلة ودمنة : – ص ، ٢٨٠ ، بيروت .

(٢) كليلة ودمنة : ص ، ٢٧٠، بيروت .

(٣) كليلة ودمنة : – ص ، ٢٧١، بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ – استشارة ملك البوم لذوي الرأي من بطانته : – يقابل هذا المشهد مشهد ملك الغربان، ولكن على الطرف النقيض منه ، إذ أغفل ملك البوم إعمال العقل في المشورة ، ونسي أن الغراب عدو لا ينبغي أن يستوثق به ، فأمنه رغم تحذيرات (البوم الناصح) المتكررة له ، فكانت النتيجة الفشل الذريع لجماعة البوم .

فقد خدع الغراب المحتال ملك البوم بسبب انخداع الأخير بقوته بعد النصر الذي حقّقه على الغربان ، وغروره بهذه القوة ، وبضعف أعدائه (الغربان –الغراب) مما ينبيء ، عن ضعف عقله الذي جرّ عليه وعلى قومه سوء العواقب فإنّ « من عرف فضل قوته على الضعفاء ، فاغتر في ذلك بالأقوياء قياساً لهم على الضعفاء كانت قوتّه وبالاً عليه (١) » .

٤ – استشارة ملك الأرانب لذوي الرأي في مملكته :–تقابل المهمة التي قام بها الغراب المحتال في بلاد البوم ، المهمة التي قامت بها الأرنب (فيروز) في حكاية [ملك الفيلة ورسول الأرانب]إذ استطاعت الأرنب أن تنجح بأن أنقذت جماعة الأرانب من الشر المحيط بهن ، بالرفق والحيلة .

« فإذا كان الملك محصناً للأسرار ، متخيرا للوزراء ، مهيباً في أعين الناس ، بعيداً من أن يقدر عليه ، كان خليقاً أن لا يسلب صحيح ما أوتي من خير (٢) » .

نخلص من ذلك إلى أنّ فرداً واحداً ، يستطيع أن ينقذ المجموع إن كان عاقلاً ، ويحقق لجماعته مكاسب حقيقية ، في حين يستطيع جاهل واحد أن يُحدِث العكس ، بأن يجلب عداوة أقوام وأجيال على نفسه وقومه ، بمعنى أن يخلص أحدهم المجموع ، في حين يجر الآخر المجموع إلى الصراع والدمار .

يقابل الأرنب العاقلة (فيروز) الغراب العجول والصفرد والأرنب على الطرف النقيض

---

(١) كليلة ودمنة :– ص ٢٧٣

(٢) كليلة ودمنة :– ص ٢٦٩ – ٢٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يقابل نفس الغراب ، الغراب المحتال الذي يقف مع الأرنب (فيروز) على الخط نفسه.

لقد قادت الأرنب (فيروز) ملك الفيلة إلى عين الماء لتريه عدوه القوي الذي يملك الأمر والقدرة ، مؤكدة له الغاية بذلك ، محتاطة لنفسها بالبقاء على رأس الجبل ، ثم إحضارها شاهداً معها ، يثبت أمانتها وصدقها . وقد انغر الفيل بها ، ليكشف بذلك ضعف عقله .

يرتبط بوظيفة الاستشارة عنصر مهم هو الأساس الذي تحكّم في تحقيق الهزيمة أو الظفر ، وهو :-

الاستيثاق : - إن استيثاق ملك الغربان بالغراب الناصح هو الذي أنقذ جماعة الغربان ، وحفظ للملك السيادة والمُلك ، وذلك لما عرفه في الغراب وخبره من حكمة وعلم ، في الوقت الذي استبعد نصيحه اولئك الذين لم يقدموا النصح السليم ، أو جانبوا العقل والصواب في نصيحتهم.

كذلك فعل ملك الأرانب مع الأرنب (فيروز) ، لما عرف عنها من علم ورجاحة عقل ، فترك لها مقاليد الأمر ، وحرية التصرف فيما ارتأت أنّ فيه الخير لها ولقومها .

يقف على الطرف النقيض ملك البوم ، والصفرد والأرنب الذين استوثقوا ، بالغراب ، وبالسنّور ، وهما لهم أعداء مما أدى إلى انتقاص أمرهم ، والقضاء عليهم بالقتل .

وبذلك فقد حقّق كل من ملك الغربان ، وملك الأرانب النصر على الأعداء دون بذل النفوس والأموال ، بسبب اعتمادهم على عقول الناصحين من وزرائهم الذين عالجوا المعضلة التي واجهتهم بالرفق والملاينة والحرص ، فوقفوا في خندق واحد مقابل المغترين بقوتهم وبالآخرين ، حيث يمكن تصنيف شخصيات الحكاية في منظور (القوة والضعف) على النحو التالي : -

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملك الغربان / ووزيره الناصح – ملك البوم

ملك الأرانب / الأرنب فيروز – ملك الفيلة .

–الصّفرد والأرنب

لقد غلبت الأرنب الفيل رغم قوته الظاهرة وضعفها الظاهر ، حين استبدلت موقعه بموقعها، بسبب اغتراره وسوى تدبيره وكذلك قدّم كل من الصفرد والأرنب حياتهما ثمناً لاغترارهما بالسّنّور الصّوام القوّام الذي أظهر التقوى والورع وأخفى وراءهما مكره ودهاءه وقبحه وسوء نيته وفعله .

في الوقت الذي يظهر فيه بوضوح تضييع ملك البوم المنتصر لظفره بسبب اغتراره بعدوه الغراب الذي أظهر الضعف والمسكنة حتى تمكّن من أعدائه .

النتيجة :–

أنّ الاستيثاق محمود ، إذا كان في من جُرّب وعرف ، أما الوثوق بالعدو وإن كان ذليلاً ضعيفاً فيدخل ضمن الغرور ، أي وضع الثقة في غير محلها ، لذا ينبغي الاستيثاق بالمؤتمن ، وعدم الاغترار بالعدو وإن أظهر تضرعاً وملقاً ، وإلاّ .. كانت العواقب وخيمة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغاية والفعل

من الممكن ملاحظة أنّ شخصيّات الحكايات رغم كونها مختلفة من حيث الظاهر (القوّة والضعف ، صغر الحجم أو كبره ، الجنس ، العمر ...) ، فهي تنجز على طول مجرى الحدث نفس الأفعال وذلك ما يحدد العلاقة بين الثّوابت والمتغيّرات في الحكايات ، فوظائف الشخصيات تشكل ثوابت ، ويمكن لما تبقّى كله أن يتغير ، مثلاً :

دمنة يلتمس الحيلة للخلاص من الثور .

ابن آوى يلتمس الحيلة لصديقه الغراب للخلاص من الأسود الثعبان .

العلجوم يلتمس الحيلة حتى لا يهلك جوعاً .

السرطان يلتمس الحيلة ليُخَلّص نفسه من العلجوم .

الخب يلتمس الحيلة لينفع نفسه بالحصول على ألف درهم .

السرطان يلتمس الحيلة لمساعدة العلجوم للخلاص من الحية .

الطيطوي يلتمس الحيلة للانتقام من وكيل البحر ، واستعادة فراخه .

الغراب والذئب وابن آوى يحتالون للقضاء على الجمل .

الأرنب تلتمس الحيلة للقضاء على الأسد .

الصيّاد يحتال ليوقع الحمامة في الشّرك ، والحمامة تلتمس الحيلة لجماعة الحمام للخلاص من شباك الصيّاد .

الغراب يحتال للانتقام من جماعة البوم .

الأرنب فيروز تلجأ إلى الحيلة لتنقذ مملكة الأرانب من شر الفيلة .

إن الحيلة ، والإساءة في الحكايات ثابتتان ، أما من يحتال ، ومن يُحتال عليه ، فهي متغيّرات ، ومع ذلك فإنّ أفعال الشخصيات الواردة أعلاه تبدو متشابهة ، ولكنّ الحقيقة أن كل فعل منها ينطوي على دلالة متباينة لدلالة نظيره ، بمعنى أنّ الحافز الذي يقود الشخصية إلى إنجاز

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا الفعل أو ذاك ، يختلف من موقف الى آخر ومن حكاية إلى أخرى ، فهو إمّا أن يكون اعتداء من قبل شرير ، أو رداً على اعتداء الشرير ، بهدف حفظ الذات أو إنقاذها .

وعلى ذلك فإنّ حافز الفعل نفسه هو الذي يحدد المجال الذي ينحاز إليه البطل في الحكاية ويحدد تبعاً لذلك نتيجة الفعل بالنجاح أو الفشل .

فقد نجحت الأرنب في القضاء على الأسد المغرور ، كما نجح دمنة في القضاء على الثور المغتر .

غير أنّ التّشابه في فعل كل من دمنة والأرنب لا يلتقي إلا في المستوى الظاهر ، ولكن حقيقة هذا الفعل تتباين في بعدها الجوهري .

ويؤكد هذا الافتراض تحليل الاتفاصيل :-

لقد كان كل من الثور ، والوحوش ، يعيش في أمن وخصب . قبل ظهور المعتدي الشرير (دمنة في الحكاية الأولى) و (الأسد في الحكاية الثانية) .

وكما قام دمنة بإبرام عقد مع الثور يتعهد فيه بعدم الاعتداء على أمنه بهدف جلبه إلى أجمة الأسد ، قامت الوحوش من أجل حماية نفسها بإبرام عقد مع الأسد يهدف إلى إقصائه بعيداً عنها يتعهد فيه الأسد بعدم الاعتداء على أمن الوحوش ؛ على أن تبذل له من نفسها دابة كل يوم ترسل بها إليه في وقت غدائه .

وكما حدث أن قرّب الأسد الثور ، وأنس إليه ، وأقصى دمنة بعيداً عنه ، حدث على الطرف المقابل أن أصابت القرعة أرنباً لتكون طعاماً للأسد .

لقد أصبح لدى كل من دمنة والأرنب مبرر للقضاء على خصمه ، والاحتيال لإنجاز ذلك وقد قام تمهيد كل منهما لنجاح حيلته على الإبطاء في الذهاب إلى الخصم ، فقد غاب دمنة عن الأسد والثور أياماً كثيرة ، كما وصلت الأرنب الى الأسد بعد أن جاوزت الوقت الذي يتغدى فيه ، بعد أن أقامت بينها وبين الوحوش عقداً تطلب فيه مهلة لتحقيق الغاية من هذا الإبطاء .

أوهمت الأرنب الأسد أن أسداً آخر ينافسه على منزلته ، كإيهام دمنة الأسد أنّ الثور يؤلب عليه الأعوان وينافسه على منزلته ، بعد أن أوهم الثور كذلك أنّ الأسد قد بيّت نيّة الغدر به .

وتحت تأثير الغضب ، قام الأسد بالإسراع للاقتصاص من الأسد الوهمي الذي اختلقت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأرنب حكايته ، فكان أن أرته الأرنب صورته في الجب ، فانقض على نفسه ، وظنّ أنّه الأسد المنافس ، فلقي حتفه .

في حين أسرع أسد دمنة إلى قتل الثور ؛ وقد ظنّ أنّ العلامات التي رآها ظاهرة عليه دليل على ما يخفيه في باطنه من تآمر وغدر به .

لقد نجحت حيلة دمنة في القضاء على الثور ، بسبب اغترار الثور وجهله ، بالإضافة إلى غرور الأسد وجهله ، كما نجحت حيلة الأرنب في القضاء على الأسد بسبب غروره كذلك وجهله .

لقد سعى كل من دمنة ، والأرنب إلى انجاز مهمة صعبة ، استعانا بالحيلة للنجّاح فيها ، غير أنّ دلالة حيلة دمنة للقضاء على الثور ، تختلف عن دلالة حيلة الأرنب للقضاء على الأسد ، بسبب اختلاف غاية كل منهما من فعله . فقد قامت الأرنب بالقضاء على الأسد لإنقاذ نفسها من الموت ، وإنقاذ الجماعة التي تنتمي إليها من الخطر الذي يهددها ، في حين كانت غاية دمنة فيما سعى إليه نفع نفسه بدافع الغيرة والحسد .

ويترتّب على ذلك الحكم على الفعل بالفشل أو النجّاح ، بالسلب أو الإيجاب ، حيث نعد فعل دمنة فعلاً سلبياً لأنّ فيه خيانة للأمانة ، واعتداءً على أمن الثور الذي تعهّد بحمايته ، وانتصاراً للشر ، فهو فعل فاشل في الحقيقة حتى لو بدا وكأنه حقق بعض النجاح النسبي . إنّ هذا النجاح الظاهر ينطوي على الخسارة الفعلية لأنّه نجاح وهمي ، ولكنّه يمثل في الحقيقة فشلاً ذريعاً للعقل الشرير الذي دبّره . في حين تقف الأرنب على الطرف النقيض لأنّ الفعل الذي قامت به فعل إيجابي يهدف إلى القضاء على الشر ، والانتصار للخير .

ونجد كليلة يفصح عن هذا البعد في توبيخه لدمنة بعد مقتل الثور ، فيكشف عن بغي دمنة وإحسانه القول دون الفعل . في رغبته الاستئثار بالسلطان وحده دون غيره ، وخشيته عليه من ثمرة عمله ، رغم أنّه ليس بناج من العقوبة[1] بسبب خيانته أمانة الملك ، ذلك أنّه« من غدر بملكه وصاحب نعماه فليس بعجب أن يغدر بغيره ، وإذا صاحب أحد صاحباً ، وغدر بمن سواه فقد علم صاحبه أنّه ليس عنده للمودة موضع[2] ».

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ١٩٣ . بتصرف .

(٢) نفسه ، ص ١٩٥ – ١٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث يروي كليلة لدمنة في ذلك حكاية عن تاجر وضع مئة مَنٍّ من الحديد أمانة عند رجل من إخوانه ، وخرج في طلب الرزق ، وحين عاد أنكر عليه الرجل أمانته ، بحجة أنّ الجرذان أكلتها ، فاختطف التاجر ابن الرجل المؤتمن ، وادّعى أن البزاة اختطفته ، فعجب الرجل من ذلك ، ورفع صوته ليعلم الناس بادعاء التاجر الذي كشف سوء حيلة الرجل ، فأعاد إليه حديده (أمانته) ، مقابل أن يعيد إليه ابنه .

إنّ الحديد قوّة ، وتمتاز الجرذان بقدرتها على الحل كما تختص وظيفتها هذه بحل عقد الربط من حيث لا تستطيع أن تأكل الحديد فإذا استطاع دمنة على ضعفه أن يفل قوة الأسد والثور ويخون ميثاقه معهم ومع كليلة ، فإنّ الأجمة التي يعيشون فيها لم تعد منيعة حصينة ، وقد حلّ فيها الفساد ، إذ لا أمان لخائن ينذر شره الجميع فيها بالدمار «وإنما صلاح أهل البيت ما لم يكن بينهم مفسد»[١] . فلن يؤدي له الملك الأمانة بعد كشف أمره ، بل سينال ومن معه جزاء فعله لأنّ الغادر مأخوذ بغدره . كما أنّ «الخب والخديعة ، ربما كان صاحبهما هو[٢] المغبون »، ويستشهد كليلة لدمنة بحكاية الخب[٣] الذي حاول أن يستولي على حق المغفل في المال الذي وجده الأخير مستغلاً غفلته وجهله .

فالمال رمز السلطة والقوة ، وإن كان المغفل وجده وشارك به الخب ، فإنّه ليس ملكاً لأي منهما . ومحاولة الخب الاستئثار به خيانة لعهده مع المغفل ، بموجب الشركة التي تجمعهما . ومثل ذلك فعل دمنة حين أراد أن يحرم الثور من منزلته بالخلاص منه ، لتحصل له المنزلة وحده عند الأسد وقد نسي أن «السلطان بأصحابه»[٤] ، فأراد أن لا يدنو من السلطان أحد سواه .ومثلما استطاع القاضي أن يكشف فجور الخب وخديعته يستشرف كليلة مستقبل دمنة ، حيث لا بد أن يكشف أمره ، وينال الجزاء الذي يستحقه . على أنّ نجاح القاضي في حفظ حق المغفل من المال وكشف الشرير وعقابه ، يعود إلى تثبته مما سمع ورأى ، حيث تبرز في النص خاصية جمالية تتمثل في طريقة معالجة القاضي لخديعة الخب ، بمسايرته فيما يدعّي ، والرد على حيلته ، بحيلة أقوى منها ، أضمرها القاضي في نفسه ، حتى حقق الغاية المرجوة منها ، إذ انكشف له الحق من خلالها . فأنزل العقاب بالخب على بيّنة وهدى .

ولعلنا نلمح ذلك في معالجة الأسد لاحقاً لأمر دمنة .

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ١٩٣ .

(٢) كليلة ودمنة ، ص ١٩٣ . بيروت .

(٣)انظر حكاية [الخب و المغفل] : كليلة ودمنة :- ص ١٨٩

(٤) كليلة ودمنة، ص ١٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عوامل نجاح الحيلة :

إنّ علاقة حكايتي (الأرنب والأسد) و (الأسد والثور) تأتي من أن تشابههما الداخلي يؤدي بنا إلى جذر تكويني مشترك ، يعد عاملاً من عوامل نجاح الحيلة لكل من الطرفين ، ويتمثل في :

ضعف الأسد : إنّ ضعف الأسد يأتي من جانبين :

١ – غروره وانفراده برأيه دون أخذ برأي أحد من أصحابه .

٢ – جهله بطبائع الناس ، وتعويله في الحكم على الأمور بالظاهر منها .

إنّ الغرور والجهل يعملان على تشويه الشخصية ، حيث يمكننا ملاحظة ذلك في أول وصف للأسد في الحكاية بعد سماعه خوار الثور ، إذ جعل يقيم مكانه «لا يبرح ولا ينشط ، بل يؤتى برزقه كل يوم على يد[١] جنده» .

إن هذه الصورة تعبر بشكل آخر عن المرحلة الحرجة التي وصل إليها الأسد ، المتمثلة بتعطيل العمل ، وعدم استحقاق الأهلية للحكم ، بسبب عدم القدرة على الادارة أو الانتاج ، وعدم القدرة على التصرف في الملمات بسبب العجز والحيرة والجهل .

ونستطيع أن نلمح صورة أخرى مشوّهة للملك بعد ندمه على إرسال دمنة «حتى جعل يمشي وينظر إلى الطريق التي سار فيها دمنة»[٢] . محدثاً نفسه أنهّ كان من الواجب أن يهجم على صاحب الصوت بنفسه[٣] .

إنّ هذه الصورة تعبر عن تردد الشخصية ، وغرورها وقلقها وجهلها ، بالإضافة إلى حيرتها في أمرها . والتّردد نقيض الحزم الذي لا بد منه لإدارة دفة الحكم والنجاح فيه .. وبذلك فقد دخل الأسد إلى مسرح الأحداث بصورة مشوهة تنم عن شخصيته . فكان ما فعلته الأرنب أنها أرت الأسد صورته المشوّهه المتغطرسة التي ظهر بها أمام الوحوش ، في جب الماء الغامر الصافي ، أي ما يعادل في مفهومنا المرآة . فمن الممكن للأشياء جميعاً في الحكاية الخرافية أن تمتلك «القوة» وتختص بذلك الأشياء ذات الصلة الوثيقة بالإنسان ، لأنها تتضمن قوة هذا

---

(١) كليلة ودمنة ، ص١١٨ .

(٢) كليلة ودمنة ، ص ١٣٤ .

(٣) كليلة ودمنة ، ص ١٣٤، بتصرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الانسان وقدرته ، بل تتضمن كذلك جزءاً من كيانه .

فمن يمتلك صورة شخص مثلاً ، يمتلك كذلك القدرة التي يتحكم بها في ذاته .

والمرآة مثل الصورة تمتلك قوة سحرية لأنها تحتوي على صورة الإنسان ، وإن لم تحتو عليها في الحقيقة ، لأنها مسطحة وينعكس عليها العالم بأسره ، وهكذا كانت صورة المرآة بحق أول الأمر صورة روحية كذلك للإنسان ، وبعد ذلك أصبحت شيئاً يستطيع أن يخفي العالم بأسره بداخله ، ولذلك فهي تستطيع أن تعرف خفايا الأمور [١].

هكذا استطاعت الأرنب أن تخدع الأسد لأنها امتلكت فهماً عميقاً لذاته ، وأبعاد شخصيته التي اتسمت بالغرور الذي منعه من استيعاب العلاقات من حوله بوضوح (حق الوحوش في الحياة ، خديعة الأرنب) فكان ضحية لغياب وعيه الاجتماعي .

يضع الأسد نفسه في مواجهة الغير (الوحوش في الغابة) وكأنه بذلك يخلق حالة من التناقض بينه وبين الآخرين ، المتمثلة في العلاقة التالية :

الأسد السيد الملك (القوي) – في مواجهة العبيد (الرعية المستضعفة) .

وتدرك الأرنب منذ البداية أنّ تحصيل الحق الشخصي يحتاج إلى القوة والإرادة ، والقدرة على إنجاز الفعل بالمغامرة ، ذلك لأنها وجدت نفسها وحيدة منفردة في مواجهة الأسد والآخرين، فتصبح علاقتها بالمجموع على النحو التالي :

الأرنب : الأسد + الآخرون .

إنّ الاعتداء أياً كان نوعه ، يضع الشخصية في موقع الدفاع النفسي والاجتماعي ، مما يجعلها تبحث عن وسيلة لمقاومته .

والأسد في موقع تفوق اجتماعي (يمثل طبقة عليا) نظراً لبسطة جسمه ، وقوة بطشه وحضوره ، بينما تنتمي الأرنب إلى المستضعفين المسالمين من الرعية الذين يتمتعون بطبع وديع ، لا ينافسون أحدا ، ولا يعدون على أحد . وهم مع ذلك لا يضمنون لأنفسهم السلامة .

وقد أدركت الأرنب منذ لحظة إصابتها بالقرعة أنّه لم يكن أمامها إلا خياران : إمّا الموت ،

---

(١) فون دير لاين :– الحكاية الخرافية ، ٨٣–٨٥ بتصرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإما الحياة . وقد انحازت إلى الخيار الثاني رغم ضعفها الظاهر بفضل ما تملك من مقوماته وكي تستطيع النجاة من الموت فهي ملزمة بنقض عقد الوحوش مع الأسد –هذا العقد الذي قدّمها له – بالقضاء عليه .

ذلك لأنّها أدركت بعقلها طبيعةالأسد، ونزوعه نحو حب التملك والسيطرة ، كما أدركت أبعاد الخلل في نفسيته ، وعمق العلاقة الضدية القائمة بين ظاهر الأمور ، وباطنها الحقيقي ، كما قدّرت في الوقت نفسه قوّتها الذاتية حق قدرها واستغلتها للانتصاف لنفسها وللآخرين الذين احتاجت مساعدتهم للقضاء على الأسد ، بالسماح لها بالتأخر عن موعد طعامه .

فالأسد رغم قوتّه الظاهرة ، تتسم أفعاله بالرعونة والحمق ، لأنّه ضعيف العقلية والادراك[1] ، وإلا فكيف يضع نفسه موضع المعتدي السافر (حيث يماثل هذا الموقف في الحكاية الرئيسية ، رغبة الأسد في الهجوم على صاحب الخوار بنفسه) ..

إذ لا يكفي أن نملك القوة التي نقهر بها أعداءنا ، وإنما أيضاً أن نفهم طبيعة هذا العدو نفسه حتى يتسنى لنا التغلب عليه .

إنّ غرور الأسد الاجتماعي يقوم على مقولة الاعتداء القسري «أريد طعاماً جاهزاً» . دون اعتبار لحرية الآخرين وحقوقهم ، لذا يوافق دون تردد على عرض الحيوانات بإحضار الفريسة إليه وقت طعامه . مفترضاً أن على الآخرين أن يمتثلوا لأمره وأن يدينوا له بالسيادة والعظمة على قاعدة (السيد والعبيد) ، إن هذا الاستهتار ، وهذه الاستهانة بعقول الآخرين استوجبا خديعة الأرنب التي أدركت بذكائها نقطة ضعفه ، ودخلت منها إلى القضاء عليه . فحين تأخرت عن الوصول إليه استشاط غضباً ، لأنه يفترض أن الجميع موجود لخدمته . وحين أخبرته عن وجود الأسد الآخر ، صدّق ذلك سريعاً ، بل قام ليثبت أنّه الأوحد والأقوى ، ليثبت بذلك جهله الاجتماعي ، ونقص معرفته ، لظنه أن الأرنب لن تستطيع أن تضره ، لأنّها لا تماثله في الضخامة والقوة . وقد غفل عن أن العلاقة بينهما قائمة على التناقض والعداء لتعارض المصالح .

ثم كشف أخيراً عن جهله السياسي حين هجم على الأسد الآخرليمزقه بنفسه ، فدفع

(١) يماثل الأسد في هذا الموقف الفيل في حكايته مع القنبرة : إذ يتسم الفيل بالقوة الجسدية والضخامة ، فيستهتر بالقنبرة لضعفها الجسدي لكنها تتفوق عليه بسبب امتلاكها القوة التي يفقدها وهي قوة العقل والأعوان والحيلة . انظر :[القنبرة والفيل]، كليلة ودمنة ، ص ١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حياته ثمناً لغطرسته وكبريائه .

ترمي الحكاية إلى إحداث حالة من النقد الذاتي ، وقد نجحت الأرنب لأنها لم تحاول أن تخرج الأسد من حالة الاعتقاد إلى حالة الانتقاد الذاتي ، لأنّ حياتها تقوم على موته ، لذا لم تقدم له صدمة الوعي الاجتماعي بالمواجهه وإنما جعلته يسير في طريق الجهل والضلال والغرور والمكابرة ، بمعنى أنها جعلته يصطدم مع نفسه فيقضي عليها ، فتوضح بذلك الفارق بين الاعتقاد الشخصي والواقع الاجتماعي وذلك بقصد العظة والاعتبار .

وقد كشفت الحكاية السلوك الانحرافي القائم على الغرور والكذب على الذات ، وغاية هذا الكشف جعل الفرد يطابق بين سلوكه وواقع حاله ، فإن لم يفعل فإنّ الآخرين سيصدمونه بذلك .

إن هذا النقد الذاتي جاء متكاملا عند الفيلسوف من حيث المضمون ، فقد قدّم صورة كاملة لمسألة السلوك الاجتماعي ، كما أنّه يبرز بوضوح الجانب الاعتقادي ، والفوضوي ، والعقلي في سلوك الأفراد ، دون أن يعزو ذلك إلى نفسانية الفرد فحسب بل تقدم بنقده السلوكي نحو البنية الاجتماعية الثقافية التي يؤدي الأفراد من خلالها أدوارهم الاجتماعية ، فكل فرد في الجماعة كان مهدّداً ، ولكن جهود الجماعة لم تثمر في حل المشكلة حلاً جذرياً ، وإنّما قدّمت حلاً ظاهراً سلبياً ، فكان لا بد من الدور الفردي . وهنا برز العقل لدى الأرنب التي وجدت نفسها – لا شعورياً – في موضع دفاع ، بسبب وقوع القرعة عليها ، وأصبحت تحمل عبء تخليص الوحوش من الأسد ، فكان لا بد من الحيلة التي تستند إلى العقل ، وإلى حسن تقدير الأمور وفهمها فهماً عميقاً شاملاً ، فحقّقت بذلك النجاح الذي تبعه الخير لها وللآخرين ليصبح فرد واحد بعقله يقف أمام المجموع ويتفوّق عليهم ، ويقودهم إلى ما فيه خيرهم ونفعهم .

أمّا خداع دمنة للأسد والثور فقد قام على فهم عميق كذلك لطبيعة كل منهما ومواطن الضعف فيه :

فالأسد قوي ، والثور ضعيف .

الأسد آكل لحم ، والثور آكل عشب .

فالثور إذن طعام للأسد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال دمنة مخاطباً الأسد في أول عهده به :

« لا تهابن أيها الملك منه شيئاً ، ولا يكبرن عليك أمره . فأنا على ضعفي آتيك به ، فيكون لك عبداً سامعاً مطيعاً»[١] .

وتنطوي عبارته على تقابلات عدّة :

- أنّ الأسد يمثل القوة أمام الثور الضعيف طبقياً (آكل عشب) ومع ذلك فإن حدوث المهابة يعني : أن الأسد ضعيف بسبب جهله لحقائق الأمور .
- أن الثور قوي الجسم ، ودمنة ضعيف الجسم ، ولكن دمنة يدرك علاقة القوة بالضعف تماماً . حين يعلن أنّه يستطيع رغم ضعفه (ويقصد الظاهر) أن يأتي بالثور القوي . إنّ ذلك يعني بشكل آخر أن دمنه يفهم طبيعة العلاقة بينه وبين الأسد ، وبين الثور .

فالثور قوي الجسم ، ولكن دمنة يستطيع خداعه بقوة حيلته، رغم ضعف جسمه وتبقى أخيراً دلالة غائبة وهي أن الأسد آكل لحم ، والثور آكل عشب ولكن دمنه (ابن آوى) آكل لحم ، وفواكه ، فهو إذن الأقوى منطقياً ، بقدرته على فهم الطبيعتين ، وجعلهما تعملان لصالحه لقربه منهما ، وحاجتهما لوساطته .

فإنّ حيلة دمنة ، والأرنب ، ما كانتا لتنجحا لولا الغرور الذي يعني الإفراط في الثقة دون الاستناد الى ضابط من الحكمة ، وقد تمثل في الحكاية[٢] بـ :

- غرور الأسد بنفسه .
- إفراط الثور في الثقة بالآخرين ، مما أدى إلى اغتراره بهم ، كما لاقت حيلة دمنة على المستوى الفعلي الفشل النهائي الذريع بسبب تضخّم شخصيته لغروره بنفسه ، وبالدور الذي توهّم أنّه يستطيع أن يؤديه .

فإذا كان الغرور ، والاغترار تبعاً لذلك بسبب الإفراط في الثقة ، فإنّه قد يقود في الوقت نفسه إلى الافراط في الشك ، الذي جعل الأسد يقتل الثور رغم أنّه خبره وعرفه لوشاية سمعها

---

(١) كليلة ودمنة : ص ١٣٥ ، بيروت .

(٢) المقصود بالحكاية ، حكاية الأسد والثور .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيه . إنّ فهم دمنة الدّقيق لنفسية الملك ، ولهذا الجانب في شخصيته وهو التردد والغرور هو ما جعله يحدد أنسب المداخل للنّفاذ إليه ، وإحداث التحول في نفسيته لحمله على كراهية الثور من خلال سرد الحكايات ، حتى جعله ينساق وراء ادعاءاته .

ففي الحكايات الشعبية القديمة : يروى للإنسان المريض عدد كبير من الحكايات[١] ، ليختار من بينها الحكاية التي تشبه قضيتها قضيته، فتكون سبباً في علاجه وشفائه[٢] .

لقد فعل دمنة النّقيض مع الملك ، حين عمل على تضليله وتعميق عجزه وتردّده ، بل ووظّف الضعف في شخصيته لمصلحته ونفع نفسه ثم جهّل الأسد بجهله ، حين حمله على سوء الخلق والقتال ، «وإنّما الرجل إذا أمكنته الفرصة من عدوه ، يتركه مخافة التعرض له بالمجاهرة ، ورجاء أن يقدر عليه بدون ذلك»[٣] . وبذلك فقد جعل الملك يجانب الصواب في فعله ، ويوشك أن يودي بنفسه ، فأصبح دمنة بذلك المعتدي الشرير بدلاً من أن يكون المعين على الخير .

إنّ فشل دمنة الذّريع يجعلنا نشير إلى القيمة التي أرادت الحكاية تأكيدها ، وهي قيمة السّيادة ، ومن ينبغي أن يكون قريباً من الملك ، كما يفسر في الوقت نفسه التناقض الظاهر في موقف كليلة وموقف دمنة ، إذ يعجب كليلة من محاولة الأخير القرب من السلطان ، فيتنبأ له بالفشل ؛ لأنّه يعد القرب من السلطان ليس من شكل دمنة ، لمعرفته به فيحاول تبعاً لذلك منعه ، خوفاً مما قد يجرّه فعله من شر على نفسه أو على غيره رغم أنّ دمنة يعلن استعداده لاطّراح الأنفة في سبيل الوصول الى مراده وقد قيل : «لا يواظب على باب السلطان إلاّ من يطرّح الأنفة، ويحمل الأذى ، ويكظم الغيظ ..»[٤] .

إن التناقض يأتي من اختلاف مفهوم كليلة للفضل والرشد عن مفهوم دمنة لهما ، إذ يرى كليلة أنّ الرجل الفاضل الرشيد هو الذي لا يتكلف من الأمور ما ليس من شكله ، فيبتغي

---

(١) ونذكر بالطب الهندوسي ، الفرد المضطرب عقليا يدعى الى تأمل الحكاية الشعبية التي تناسب مشكلته ، كي يتغلب بواسطتها على مشاكله النفسية » انظر : برونوبتلها يم :- التحليل النفسي للحكايات الشعبيه ، ص ١٢٢

(٢) في باب شادرم وإيلاذ وإيراخت ، يروي الوزير إيلاذ للملك حكايات يساعده من خلالها على الخروج من ورطته . انظر الحكايات : كليلة ودمنة ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩ ، بيروت .

(٣) كليلة ودمنة : ص ١٨٦ .

(٤) كليلة ودمنة : ص ١٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآخرة في القول والفعل ، ويسعى نحو تحقيق الغاية النبيلة بوسيلة نبيلة ، ولا يتحقق ذلك إلاّ بتحكيم العقل في الأمور والانحياز إلى الخيّر منها ، لذا تنبّأ لدمنة بالفشل قبل سعي هذا الأخير لإنجاز مشروعه بناء على استنتاج عقلي تجريبي ، لذا طلب منه مراراً أن يراجع عقله فيما عزم عليه . لأنّ أعوان السلطان يُفترض أن تتوافر فيهم صفات معينة يتميّزون بها ، ودمنة يفتقد مثل هذه الصفات ، كما يفهم الفضل والرشد على نحو مغاير ، فلكي يكون الرجل فاضلاً رشيداً لديه «لا ينبغي أن يرى إلا في مكانين ، ولا يليق به غيرهما : إمّا مع الملوك مكرّماً ، أو مع النسّاك متعبداً»[1].

إنّ مفهوم دمنة الفعلي يرتبط بالملك ، فالفضل والرشد لديه لا يتحقّقان إلاّ بصحبة السلطان ، والقرب منه ، فيعد القرب من السلطان غاية ، وهذه الغاية تبرر الوسيلة التي قد تزيّف الحقائق لمصلحة طرف دون آخر ، أو قد تزيّن الشر فتجعله خيراً بما يتوافق مع مصالح فاعله . في حين يرى كليلة أنّ من شروط السّيادة باعتبارها قيمة : الصدق في أداء النّصيحة . وتبعاً لذلك يقوم موقف كل من كليلة ودمنة على التّناقض والتّباعد ، الذي دلّت عليه الحكاية في النهاية بفراقهما المطلق .

فإذا كان «السلطان بأصحابه»[2] فإن مسؤولية دمنة عما حدث للأسد يتحمل جزء كبيراً من تبعاتها الأسد ، لحرمانه نفسه من صالحي الأعوان ، فإنه مما يفسد أمر السلطان «الحرمان من صالحي الأعوان ، والنّصحاء ، والساسة من أهل الرأي والنجدة والأمانة ، وأن يكون من حوله فاسداً مانعاً من وصول أمور الملك إليه ، وأن يحرم هو أهل النّصيحة والصلاح من عنايته والتفاته إليهم»[3].

ذلك لأن علم الملك بالأمور من ناحية علم مطلق ، وكذلك قوّته ، أما من الناحية العملية الواقعية فالأمر ليس كذلك ، هذا يعني أن الملك عالم ما دام يعمل برأي العلماء من أعوانه ، فهو ضعيف بانفراده برأيه ، قوي باستشارة العلماء ، والعمل برأي العقلاء منهم . وقد كان تغييبه لهم سبباً في وصول دمنة إليه ، وجرأته عليه ، لما خبره من التباس أمره .

ذلك أن الملك يحتاج على الدوام للشورى في جميع أمره ، ولكن عندما يريد هو لا

(١) نفسه ، ص ١٢٧ .

(٢) كليلة ودمنة ، ص ١٨٧ .

(٣) كليلة ودمنة ، ص ١٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عندما يريد غيره ، بل يجب أن لا يقبل مشورة أحد إذا لم يكن سأله ذلك ، فينبغي له أن يكون كثير السؤال ، حسن الاستماع ، صبوراً على القول ، يغضب إذا تردّد أحد في قول الصدق في حضرته .

كما عليه أن يسير في طريقه بعد التفكير دون الالتفات لما يقال ، فإنّ من يفعل غير ذلك ، إمّا أن يكون فعله دون تبصّر ، وإمّا أن يبقى ديدنه التحوّل حسبما يوحي إليه من حوله ، وعاقبة هذا السلوك عدم الاحترام وفقدان الهيبة .

فمن الخطأ الظن أن الفضل راجع في حذر الملك لمن حوله من الرجال فإنّ الملك لا يعرف كيف الانتفاع بالنّصيحة والشورى إن لم يكن عاقلاً ، إلاّ إذا ترك تدبير شؤون لمن يحسن القيام بذلك ، فإنه في هذه الحال قد يحكم حكماً حسناً ، ولكن ذلك لن يطول ، لأنّ من يتصرّف في شؤونه يطمع في الملك[1] ويخلعه . وكان هذا المدخل الذي نفذ منه دمنة للوقيعة بين الأسد والثور ، فإن الأسد غير العاقل فاتح شريراً منتفعا في أمر خطير يهدد ملكه ، فلم يستطع في نهاية الأمر أن يستنتج لذاته رأياً واحداً يصلح العمل بمقتضاه ، لأنّ المشير كان يفكر في نفعه الذاتي ، فلم يستطع الملك التبّصر بأمره ، فعمل بما خطّط له دمنة ، وقد كان من المفروض أن يكون دمنة مجرد قوّة يوجّهها عقل الملك ومستشاريه ، لا أن يوجّه هو الملك ، بمعنى أن يهتم بشؤونه ولا يتحرك إلاّ حين تصدر إليه الأوامر .

وبذلك فإنّ الرجال حول الملك قد يخدعونه ما لم يضطروا للاخلاص له ، فينتج من هذا أنّ المشورة الحسنة مهما كان مصدرها يجب أن تكون راجعة إلى حذر الملك ، لا أن يكون حذر الملك راجعاً إلى النّصيحة الحسنة .

من هنا تأتي أهمية الكشف والاختبار لأنّها تنم عن حقيقة جوهر الشخصية المختبرة ، ثم تحدّد إن كانت تصلح للقرب من السلطان . ويختبر الملك الأعوان بقصد كشفهم لمعرفة ما هم عليه من خير أو شر ، ويتخيّر الفضلاء منهم ، ليستشيرهم في شؤون الملك ، ذلك لأنّ الاستشارة أمانة ، كما أن المستشار مؤتمن ، فإنّ من مهام الملك العليا اختبار الأعوان ، وتخيّر الصالحين منهم لأن السلطان إذا كان صالحاً ووزراءه وزراء سوء ، منعوا خيره ، فلا يقدر أحد أن يدنو منه[2] .

---

(١) ميكيافللي : الأمير ، ص ١٨٤ – ١٨٥ ، بتصرف .

(٢) كليلة ودمنة ، ص ١٨٧ ، بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلأجل أن يعرف الملك سر وزيره فله أن يختبره فإذا كان يهتم بذاته أكثر من اهتمامه بالملك ، ويقوم بأعمال لنفعه فإنّه لا يصلح وزيراً ولا يمكن التعويل عليه ، لأنّ من كانت في يده مقاليد الدولة لا ينبغي له أن يفكر في نفسه طرفة عين بل ينبغي له على الدوام أن يفكر في مصلحة الملك ، ونلاحظ هنا أنّ دمنة قام بذلك حتى جلبه الثور ليستوثق منه الملك ، ويبلغ المرتبة لديه ، ولكنّه عاد إلى طبعه بعد ذلك ، حين خسر بعض النفع .

لذا على الملك أن يفكر في مصلحة الوزير ليحصل على أمانته وإخلاصه ، فيشرفه ويثريه ويحسن إليه بالمودة ، ويكلفه بالأعمال ذات المسؤولية ، فلا يطمع في تشريف الغير ، ولا في ثروة السوي . فيدافع بذلك عن حكم الملك ووجوده . فإن كانت هذه علاقة الملوك بالوزراء أمكن لكل منهما أن يعول على الآخر وإن اختلت تلك العلاقة ، فلا بد من ختام سيء لأحد الطرفين .

وقد كان هذا الختام من نصيب دمنة ، ولكنه لم يفشل لأنّه السيء الشرير فحسب ، أو لأنّه منع خير الملك ، وحمله على فعل الشر ، وإنما لأنّ الحكاية تقوم على فلسفة إصلاح الملك ، وإيصال الحكمة له باعتبار أن الخير قد لا يتحقق في الملك إلا بعد خوض تجربة الشر ، هذه التجربة التي يتأكد الملك من خلالها أنّ طريق الأراذل والأشرار والأنانيين طريق بغيض وكريه . لأنّ كل محنة أو كارثة تحدث للنفس النامية قد تؤهل للتحسين ، وهذا ما أكدّت عليه (أم الاسد) في محاكمتها العقلية له ، حين حثّته على تذكر الموقف الذي نتجت عنه محنته ، وكيف يمكن استخدام هذا الموقف لمصلحته لتبدأ معه أولى خطوات العلاج نحو تحقيق الخير بتحقيق النضج (في معالجة موضوع الشرير ومعاقبته) ، حيث يتذكر الملك الألم القديم الذي كان يقاسي منه حينما كان يسلك طريق الغرور وحب الذات إلى نهايته ، ليخلص بذلك إلى أنّ طريق التّطرف والإفراط يقود إلى قصر الحكمة ، فالتجربة خير ما يمكن أن يعلّم الانسان .

فأصبحت هذه التجربة عند الملك دافعاً للمعرفة ، ولطلب العلم الذي ينبني به موضوع الخير والصّلاح في نفس الملك ، لتظل هذه المعرفة ملازمة له ، لا يمكن فصلها عنه ، لأنها أصبحت جزءً منه باعتبارها ثروة يدّخرها لمستقبله في جنات النعيم .

ويقتضي العلم التمييز بين مستويين للأمور : المستوى الظاهر ، والمستوى الباطن ، وهذا بدوره يتطلب المعرفة العميقة بأحوال الناس ، وفهماً لطبائعهم ، ودوافعهم وأغراضهم ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وللاستدلال على ذلك علامات يعرفها المرء من قلبه أو مما في نفسه بالحس والشعور ؛ مما أودعه الله فيه من حسٍ بالحسن من الامور أو بالقبيح منها ، أي بالإلهام والموهبة ذلك لأنّ فكرة الخير وإن لم يعمل بها الإنسان يتبعها مباشرة في النفس شعور بالسعادة والحبور ، بينما تكدر فكرة الشر المزاج ، وتثقل الوجدان .

وهذا ما عوّلت عليه أم الأسد في مفاتحتها له باديء الأمر بعد قتله للثور ، إذ طلبت منه مراجعة نفسه فيما فعل ، فإن وجدها راضية عما حدث كان قتله للثور حقاً ، وإن كان غير ذلك فقد قتله جوراً وظلماً .

وإن لم تتوافر في الانسان مثل هذه الخاصية عوّل على ما يدلّه عليه عقله في حسن التّبصر في الأمور ، لتمييز التأويل السليم من التأويل الخاطيء ، فإذا كان العقل يعمل على سبر أغوار التعبير (بالكلمة أو الاشارة أو الصورة) ، واستنهاض مدلولاته المتعدّدة ، فإنّ الغرض من ذلك بلوغ مدلول أو أكثر بحد ذاته ، فليست عملية استقصاء الباطن عملية مزاجية ، بل هي عملية عقلانية دقيقة وهي أرقى من العملية الأولى المتعلقة بالمستوى الأول وهو التمييز بين الظاهر والباطن ، لأن فيها فهماً شاملاً وعميقاً للحقيقة – أو على الأقل – اقتراباً منها .

ثم هناك نقطة من التعلم تتوقف عندها المعرفة لتكون مجرد معرفة ، فتغدو بعد ذلك استبصاراً روحياً ، والذي يعني الإدراك لما ينطوي عليه الموقف من دلالة دون اعتماد على الخبرة السابقة ، بمعنى أن يتضح له الأمر حتى كأنه يبصره .

ذلك لأنّ «العقول ثلاثة ، الأول : عقل يفقه الأشياء دون تعضيد من الخارج . والثاني : يفهمها عندما يريها إياه آخر . والنوع الثالث : لا يفهم بذاته ، ولا بواسطة غيره . فالنوع الاول أعلى العقول ، والثاني حسن ، والثالث بلا نفع مطلقاً»(١) .

ولم يكن الملك من أصحاب العقل الأول في الحكاية ، ولكن كان من أصحاب العقل الثاني ، فانطلت عليه الخديعة ، فكلما كان الملك قادراً على الحكم على الاشياء ، وتمييز الغث من السمين ، فإنّه إن رأى السيء والحسن من أعمال وزيره أصلح الأول وترك الثاني فلا يرى الوزير وسيلة لخداعه فيضطر للإحسان .

والضعف في الملك يعالج بالمعرفة ، والأعوان الصالحون خير من يعين على هذه المعرفة ،

---

(١) ميكيافللي :- الأمير ، ص ١٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأنّ الادعاءات الكاذبة مضلّلة ، كما أنّ المعرفة[١] مسؤولية ذلك أنهّ كي يؤدي الانسان وظيفة إيجابية ، أو ليتصرف على نحو سليم في قضية ما ، ينبغي أن يكون على علم صحيح بما حدث ، لأن غياب الخبر الصّحيح يجعل الإنسان في موقفه الإيجابي يظهر وكأنما تصرّف بشكل مقحم ، أو غير متوقع ، أو أنّه أدى الدور كما لو كان عليماً ، مثلما أنّ الثور لم يستمع نصيحة دمنة بالاستعانة بأصدقائه .

وعلى ذلك فإنّ الحكاية لا تهمل الخبر ، بل وتقيم داخل النص منظومة إخبارية ، فإذا أدت شخصيتان مختلفتان وظيفتين متتابعتين فالشخصية الثانية منهما يجب أن تكون على علم بما حدث من قبل ، هكذا تطوّرت في الحكاية منظومة إخبار كاملة تتوافر أحياناً على أشكال بالغة الإدهاش من وجهة النّظر الجمالية .

فالنمر يخبر أم الأسد بوقيعة دمنة بين الأسد والثور فتتصرّف أم الأسد بشكل عقلاني سليم ومدروس ، بسبب علمها المسبق بما حدث بين دمنة والأسد والثور .

ودمنة الذي أدرك بدهائه ، مستوى فهم الأسد للأمور وقصوره عن التمييز بين المظهر والمخبر في علاقاته بالأشياء ، وفي تعامله معها ، واستدل على ذلك من تجربته مع الأسد قبل جلب الثور حين كشف ضعفه إذ لزم مكانه بسبب خوار ثور ، قال دمنة : « ليس الملك بحقيق أن يترك مكانه لأجل صوت ، إذ ليس من كل الأصوات تجب الهيبة»[٢] . «والقلب الضّعيف آفته الجلبة[٣] والصوت» .

كما أدرك أيضاً طبيعة العلاقة الواهية بين الأسد والثور ، رغم الظاهر من تماسكها واتخذ هذه الثغرة ليلج منها إلى الأسد ، فحقق بذلك نجاحاً مبدئياً بسبب غياب العقل لدى كل من الصديقين ، ووقوعهما تحت تأثير العاطفة والهوى ، وما زيّنه لهما المعتدي الذي لبس قناع الصداقة ، واتخذه وسيلة لخداعهما ، وأعاناه هما نفسهما على ذلك بسبب غياب الأعوان ، وإفراط كل منهما في الثقة بدمنة والشك بصديقه الذي عرفه وخبره . وبذلك يكون دمنة قد

---

(١) وقد قدّمت الحكايات نماذج للمعرفة ؛ فوظيفة الغراب في باب (الحمامة المطوّقه) هي المعرفة ، وقد انتقل وراء الحمامة والصياد معرضاً نفسه للخطر ليتعلم ما يكون له عدّة عند الحاجة وتحتاج المعرفة إلى الصبر والتّحمل في سبيل تحصيلها ، وقد قدمت ذلك عبر نموذج (الغراب المحتال) الذي قام بدور الاستخبار أو التجسس عند جماعة البوم . وحتى يحصل الملك على المعرفة كا ن لا بد أن يمر عبر التجربة الصعبة المؤلمة .

(٢) كليلة ودمنة : ص ١٣٢ .

(٣) نفسه ، ص ١٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استبدل موقعه بموقع الأسد مؤقتاً بمنظور القوة والضعف ، باعتبار أن المنتصر هو الأقوى عقلاً والأكثر ذكاء وحنكة .

ونستطيع أن نفهم طبيعة الثور ، التي فهمها دمنة من قبل ووظفها خير توظيف للوصول إلى غايته إذا تدرجنا بها منذ البداية :

لقد وحل الثور ، وترك ابن الشيخ رجلاً يشارفه لعله يخلص فيأتيه به ، ولكّن الرجل تبرم بالمكان واستوحش ، ولحق بابن الشيخ ، وأخبره أن الثور قد مات وأنّ الموت مدرك الإنسان .

إن الإدعاء الكاذب الذي قدّمه الرجل ينطوي على تنبؤ بمصير الثور ، فلماذا حكم الرجل على الثور بالموت ؟ . إنّ وحل الثور يعني الوقوع في ورطة ما ، وقد جهد الإبن الأكبر وأصحابه لإنقاذه ، ولكنهم فشلوا ، إذ بقي الثور ساكناً ، لم يبذل جهداً ليخلص نفسه فينجو وفي ذلك هوان للنفس ، وتغييب للعقل ، واستسلام لتصاريف القدر .

فقد اتفق أنْ نجا الثور من الوحل وانطلق ، لينتقل بهذا الخروج الذي عبّرت عنه الحكاية بلفظه «الانبعاث» إلى وضع جديد ، في مكان مخصب آمن ، مما ساعد على استقراره . وبهذا تكون الوحدة على المستوى[1] الفردي :

لا توازن (من قبل) – الانبعاث ـــــــــ استقرار وتوازن (التمهيد لمرحلة من بعد)

ولكن هذا الاستقرار لم يدم على حاله بسبب تغيّر هيأة الثور ، إذ سمن وأمن بفعل الخصب والرغد ، ولكنّه بدلاً من أن يقنع جعل يخور ، ويرفع صوته بالخوار .

إنّ الخصب والأمن اللذين كانا سبباً في توازن الثور واستقراره هما ذاتهما العاملان الرئيسيان اللذان كانا سبباً في فقدان الثور استقراره وتوازنه . فالثور لم يزل في نعيم حتى رفع

---

(١)

على المستوى الزمني :

شقاء (بسبب الوحل) الانبعاث سعادة متميزة (بسبب الكلأ والماء والخصب)

بدأت حكاية الثور بوضعية فيها شقاء ثم تحوّل هذا الشقاء بالنجاة في عرض صورة للثور تعبر عن سعادة متميزة ، تصلح باعتبارها خلفية للشقاء الذي سيتبعها . من هنا نستنتج أنّ الزمن في الحكايات دائري وليس حتميا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صوته بالخوار ، فسمعه الأسد . لتصبح الوحدة على المستوى الفردي أيضاً :

استقرار وتوازن – الخوار ـــــــــ اضطراب ولا توازن .

بسبب تهديد أمني اجتماعي تمثل (بوصول دمنة رسول الأسد إليه) . وتحقق هذا التهديد فعلياً بالانتقال من المرج إلى الأجمة . إن خوار الثور إذن عنصر مساعد يعني (تهيؤ) للتّعرف القادم ولكن الدلالة الغائبة في هذا السّياق أنّ رفع الثور صوته بالخوار يعني أنّه قد أصابه البطر بانتقاله إلى وضع جديد لم يألفه من قبل وهو المرج المخصب كثير الكلأ والماء .

إن فعل الثور يعيد إلينا دلالة ذلك التنبؤ الذي ظهر بصورة ادّعاء كاذب ، وغلّب فيه الرجل احتمال الموت وجعله يقيناً في موضوع الثور حين سرد لابن الشيخ حكاية عن أنّ الموت مدرك الإنسان ، رغم أنّ احتمال الموت واحتمال الحياة حتى تلك اللحظة كانا متساويين ، فكشف بذلك عن فهم لطبيعة الثور المندفعة التي لا يحكمها ضابط من الحكمة ، وقد دلّت على ذلك أفعال الثور التي أودت به إلى الموت الفعلي ، وقد تمثّلت بـ :

– **الانتقال إلى الأجمة** (حيث ترمز الأجمة إلى الانغلاق والظلمة الداخلية) بموجب أمان خادع ، قال لدمنة : «إن أنت جعلت لي الأمان على نفسي أقبلت معك إليه»[١] . وقد فات الثور أن دمنة لا يملك فعلياً لنفسه أو للثور شيئاً إن أراد الأسد البطش بهما أو بأحدهما .

إن الانتقال هنا يرتبط بعنصر الخوف ، وقد كان حقيقاً بالثور ألاّ يقدم عليه ، وإنما يحتال لينجو بنفسه ، لكنّه ذهب رغم علمه أن «صحبة السلطان خطرة ، وإن صوحب بالسلامة»[٢]

– **صحبة الأضداد** : إن استئناس الثور بالأسد لا يقوم على منطق بسبب عدم توافق المتباعد والمختلف في الطبيعة في علاقة إنسانية مشتركة قائمة بينهما ، وما دام الثور طعاماً للأسد ، فإن العلاقة بينهما تقتضي من الثور الحذر لا الاستئناس يقول الثور نادماً على استئناسه ، ومبيّناً عمق إدراكه للعلاقة الضدية القائمة بينه وبين الأسد :

«فأراني قد استلذذت الحلاوة إذ ذقتها ، وقد انتهيت إلى آخرها الذي هو الموت»[٣] .

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ١٣٦ . بيروت .

(٢) نفسه ، ص ١٧١ . بيروت .

(٣) نفسه ، ص ١٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أدرك الثور متأخراً أنّه غدر بنفسه باعتبار أنّ «مجاورة السبع والكلب والحية ، على طيب الوطن ، ونضارة العيش ، غدر بالنفس»(١) .

– **الافراط في الثّقة وسوء التقدير** : إن ثقة الثور المفرطة بدمنة هي ما خلط الأمور في ذهنه فحين فكّر في العهد والميثاق الذي جعله له دمنة ، وفكّر في أمر الأسد بعد خديعة دمنة ظن أنّ المنزلة التي بلغها عند الأسد إنما كانت بفضل ميثاق دمنة وعهده ، لا لإكرام الأسد لعقله وأدبه ، وعلى هذا «ظنّ أن دمنة قد صدقه ونصح له»(٢) .

ونلاحظ هنا انفراد دمنة بالثور والأسد إذ وضع الثور في وضعية عجز حين عزله عمن يستطيعون الدّفاع عنه وإرشاده من أصدقائه وأعوانه حين أظهر قيامه هو بهذا الدور بصفته ناصحاً فانخدع به الثور .

ظنّ الثور أن الأسد قد حمل عليه بالكذب وشبه عليه أمره ، ولكن لم يشك بدمنه ، وإنّما عدّه الصّديق الصّدوق ، فهو يؤمن بوجود علّة في الأمر ، ولكنه لم يستطع تفسير هذه العلة ، لانطلاء الحيلة عليه ولتعويله في النهاية على القدر وصروفه ، معلناً بذلك استسلامه وسكونه . قال : «ولولا الحين ما كان مقامي عند الأسد وهو آكل لحم ، وأنا آكل عشب»(٣) .

– **العجز** : قرّر الثور مواجهة الأسد بالاجتهاد والمجاهدة والقتال ويعلّل ذلك بقوله : «فإنّه ليس للمصلي في صلاته ، ولا للمحتسب في صدقته ، ولا للورع في ورعه من الأجر ما للمجاهد عن نفسه إذا كانت مجاهدته على الحق»(٤).

ويكشف دمنة عجز رأي الثور بقوله : «إنّ ذا الرأي جاعل القتال آخر الحيل ، وبادىء قبل ذلك بما استطاع من رفق وتمحّل»(٥) .

فعدل الثور عن القتال ، ولكنّه لم يلتمس لنفسه الحيلة ، وإنما ترك الأمور تصل إلى نهاياتها دون تدخل أو فعل منه . قال : «فما أنا بمقاتل الأسد ، ولا ناصب له العداوة سراً ولا علانية ، ولا

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ١٨

(٢) نفسه ، ص ١٦٨

(٣) نفسه ، ص ١٧٢

(٤) نفسه ، ص ١٨٠

(٥) نفسه ، ص ١٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متغير له عما كنت عليه ، حتى يبدو لي ما أتخوف فاغالبه»[1] .

وقد جهل قدر نفسه أمام الاسد ، فهو سيواجه الأسد مدافعاً عن نفسه متسلحاً ببراءته ، بينما يمتلك الأسد أنياباً وغضباً ومخالب للدفاع والهجوم .

وإن كان الثور قد عبّر بذلك عن طبيعته الإنسانية في كره القتل ، وحب السّلم ، إلا أنّه يعد نموذجاً للإنسان الذي يعلم ، ولا يعمل بعلمه ، فبدا في صورة الإنسان المتردد ، المغلوب على أمره ، حين وضع نفسه في موقع الدّفاع مع أنّ الخطر المحيط به يحثه على سرعة العمل والعجلة للأخذ بزمام المبادرة للنجاة من الورطة التي حلّت به .

لقد جعل دمنة الثور عاجزاً عن فهم الأمور في سياقها المنطقي ، واستقصاء باطنها ، إذ استطاع تحييد عقله ، وجعله يحدد موقفه من غدر الأسدبه على أساس الظاهر منه ، وهو العلامات التي قد تبدو على الأسد إن كان غادراً .

فذهب الثور الى الأسد ، وحيداً منفرداً ، وهو يعلم أنّ في ذهابه الموت المحقق . فلقي حتفه . علما أنّ هذه الوحدة يمكن تمثيلها بـ :

الطرف الأول	العلاقة	الطرف الثاني
قوة مهددة خادعة	خديعة تلبس	الأسد
(دمنة)	قناع الصداقة	الثور

النتيجة : انخداع وعدم تبصر . قرار باللقاء والمواجهة والقتال ، بناء على الظاهر من الأمور .

أراد دمنة بالنصيحة التي قدّمها للثور بترك القتال والبدء بالحيلة والاستعانة بالأعوان ، أن يثبت للأسد صدّق قوله من أنّ الثور قد خلا برؤوس جنده لتأليبهم عليه .

وحتى يجعل الثور يفعل ذلك دون أن يشعر سرد له حكاية ظاهرها النصيحة في حين يزين

---

(١) كليلة ودمنة : ص ١٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باطنها للثور اللجوء إلى رؤوس الجند من أصدقائه للاستعانة بهم في أمره مع الأسد .

ويبين دمنة للثور في حكاية [الموكل بالبحر مع الطيطوي] أن ذا الرأي جاعل القتال آخر الحيل ، وباديء قبل ذلك بما استطاع من رفق وتمحل ، إذ لا ينبغي لأحد أن يخاطر بنفسه وهو يستطيع غير ذلك[١] .

فحتى يسترد «الطيطوي» فراخه لم يلجأ لقتال وكيل البحر من حيث لا طاقة له به ، وإنما استعان عليه بجماعة الطير ، التي لجأت بدورها إلى العنقاء ، فتوجّهت الأخيرة لقتال وكيل البحر الذي أعاد فراخ الطيطوي قبل وصول العنقاء لعدم قدرته على مغالبتها .

بيد أنّ الثور لم يطع نصيحة دمنة التي تزين له الاستعانة بأصدقائه ، والتي حاول دمنة أن يرهب الثور ليسرع في الإقدام عليها من خلال تأكيده لفكرة الصديق الناصح ، والتي مرّرها عبر حكاية [البطتين والسلحفاة] المولّدة داخل حكاية [الطيطوي] والتي تنبه إلى أنّ الموت هو عاقبة من لا يستمع لقول الناصح من أصدقائه ، كما حدث مع السلحفاة التي لم تطع نصيحة صديقيها البطتين اللتين حملتاها ففقدت حياتها تبعاً لذلك .

على أنّ الثور أبدى فهماً كاملاً لمجريات الحيلة من خلال الحكاية التي رواها لدمنة ، وهي حكاية [الذئب والغراب وابن آوى والجمل] وفيها يلخّص الثور حكايته كاملة منذ دخوله إلى الأجمة بموجب عقد ، بل ويستشرف النهاية التي تنتظره ، ولكنه في الوقت نفسه ، لا يعمل من أجل تجنبها بإرجاء اللقاء بالأسد إلى حين التّثبّت من أمره أو حتى الخروج من الأجمة بالهرب ، نظراً لبطلان العقد بنية الاعتداء على أمنه ، مقيماً العلاقة في الحكاية بين ضعف الأسد وسوء البطانة حيث لا ضمان بعد ذلك ولا أمان على أنّ الثور لم يأخذ بنصيحة دمنة لا لأنّه كشف حيلته ، وإنما لفهمه قوة الأسد في الظاهر منها بعيداً عن العقل وقدراته .

إن عدم استماع الثّور لنصيحة دمنة باللجوء إلى الأصدقاء تشير إلى عجز الثور ، كما تنم في الوقت نفسه عن شخصيته المسالمة ، وعن اقتناعه بعدم استحقاق العقوبة لانتفاء الذّنب . ثم فهمه للعلاقة التي تربطه بالأسد القائمة على التناقض في مفهوم (القوة والضعف) ، فهو مغلوب على أي وجه كان ، إن صحّ ما ادّعاه دمنة من غدر الأسد ، أو وجد من يحسده ويشي به لديه . لهذا أجّل فعله حتى اللقاء بالأسد والتثبت من أمره وفاته أنّ الجمل في الحكاية الفرعية التي رواها

---

(١) كليلة ودمنة : ص ١٨٠ بتصرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لدمنة قضى نحبه بسبب انخداعه ، وانغراره ، فما كان حرياً به أن يبقى بين الوحوش عهداً طويلاً ، وقد رأى تعطل أمر الأسد بإصابته من قبل فيل . وقد تنبه الثور إلى انفراده هذا ، ولكنه لم يستدرك نفسه بطلب النجاة .

غير أن الثور ، وإن لم يطع دمنة في اللجوء إلى الأعوان فإنّه استهدى برأيه فيما يخص العلامات التي سيراها ظاهرة على الأسد والتي تنبيء عما يضمره للثور من غدر وحنق . وكانت هذه الحيلة البديلة التي استخدمها دمنة للوقيعة بالثور ، بعد أن فشل في أن يجعله يستعين بالأعوان .

وبذلك فقد تنبأ الرجل بمصير الثور بناء على استنتاج عقلي تجريبي يتلخص في أنّ الثور وإن نجا من الوحل ، فإنه هالك لا محالة بفعل تأثيرات ما يحيط به عليه ، لأنّ المتناقضات من حوله أقوى منه . وقد استوحش الرجل نفسه – من قبل – من المكان وأسرع بالهرب منه .

إنّ نصيحة دمنة للثور ، ومبدأ الاستعانة بالآخرين من أجل تحقيق الغاية ، وقضاء الوطر ، من أهم بنود حيلة دمنة ، وأكثرها أهمية في إحداث الأثر في النفس ، ذلك أنّ الأسد قتل الثور لوقوعه تحت تأثير الانفعال المتمثل بالغضب الذي أحدثه دمنة في نفسه حين أوهمه أن الثور إن لم يستطع الملك بنفسه ، احتال له من قبل غيره .

لعل أهمية هذا البعد تجعلنا نتوقف عند دور المساعدين (الأعوان) في الحكايات الفرعية ، لاستخلاص القيمة التي أكدت الحكاية عليها :

دور المساعدين : تؤكد الحكايات الفرعية أنّ على المرء أن يطلب المساعدة أو النصيحة من ذوي الثقة من أخوانه أو ممن تربطه بهم علاقة يمكن احترامها . وقد طلب الغراب المساعدة من صديقه ابن آوى[١] ، فصدقه النصيحة حين قدم له حيلة انقذته من الورطة في حين بنيت حيلة السرطان للعلجوم[٢] وقد طلب الأخير النصيحة منه ، على العداء ، وحب الذات ، والأساس الذي قامت عليه متداع للطرفين ، بحكم أنّ السّرطان طعام للعلجوم ، وقد عجز العلجوم عن فهم أبعاد الحيلة التي تبدو بصورة نصيحة ، ولم يتنبه إلى الأصل فيها بسبب اغتراره أن السرطان لن يقدر على قتله ، وفاته أنّ السرطان وإن ضعف عن ذلك فقد يحتال له بغيره ،

---

(١) انظر الحكاية : [الغراب والأسود وابن آوى] ، كليلة ودمنة ، ص ١٤٧ ،بيروت

(٢) انظر الحكاية : [العلجوم والحية] ، كليلة ودمنة ، ص ١٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا ما حدث بالفعل ، إذ قدّم السّرطان للعلجوم حيلة ظاهرها النصيحة وباطنها الموت المحقق ، تقوم على اقتراح بجمع سمك وتفريقه من باب بيت ابن عرس إلى بيت الحية . وقد فات العلجوم ما بينه وبين ابن عرس من عداء ، فاستمر ابن عرس بعد أكل الحية في طلب غيرها فوجد العلجوم وفراخه ، فأكلهم جميعاً .

فتختم الحكاية بذلك لصالح ابن عرس والسرطان ، باعتبارهما الأقوى ، وتتقدّم قوّة الثاني رغم ضعفه لقوة عقله ودهائه ، حين واتته الفرصة للخلاص من عدوه دون أن يكلف نفسه الجهد والمشقة فلم يضيعها .

وتشترك حكاية [العلجوم والسرطان(١)] مع هذه الحكاية في نفس الدلالة ، حين ذهبت السمكات إلى العلجوم رغم عدائه لهن يطلبن نصيحته ، بناء على ادعاء زائف لم يتثبتن من صحته وهو قصة مجيء الصيادين التي اختلقها العلجوم ليتمكن منهن – كما فاتهن أن الغدير الذي سينتقلن إليه أيضاً قد يأتيه الصيادون كذلك ، فأسلمن أمرهن إلى العلجوم الذي جعل يأكل منهن سمكتين كل يوم ، إلى أن كشف السرطان أمره فاحتال عليه وقتله – ثم عاد إلى جماعة السمك يخبرهن بفشل العلجوم ، ذلك لأنّه بنى أمره كله على الزوال والتلف .

على أن حكاية [العلجوم والحيّة] التي رواها كليلة لدمنة على لسان والد الخب ضمن حكاية [الخب والمغفل] في سياق تعنيفه له على فعله القبيح بعد مقتل الثور تعد رداً على حكاية دمنة [العلجوم والسرطان] ضمن حكاية [الغراب وابن آوى ...] تلخص عاقبة ما فعله دمنة ، فان الأسد بعد أن يفرغ من الثور ، سيتجه – لا بد – نحو دمنة لتصفيته ، مؤكداً كليلة بذلك تنبؤه .

إنّ فعل العلجوم في الحكاية الأولى ، وفعل السمكات في الثانية هو ما يمكننا أن نسميه اصطلاحاً بالتواطؤ ، حيث تقع الضحية في حبائل الخدعة ، وبذلك تعين عدوها على تصفيتها على الرغم منها .

مهما يكن اختلاف الأمثلة المذكورة فلها خاصية مشتركة ، وهي أنّ أحد الشخصيات يعلم شيئاً بواسطة شخصية أخرى ، وذاك ما يصل الوظيفة السابقة بالوظيفة اللاحقة : إن ذلك ما جعل الأسد يتحول مثلاً من صديق للثور إلى عدو مبغض له ، ثم قاتل ، وإن كان علمه مبنياً على أساس غير حقيقي ، وإنما هو علم وهمي ، قائم على ادعاءات كاذبة ومزورّة . حيث نستطيع أن

---

(١) انظر الحكاية : كليلة ودمنة :– ص ٦٤ ، نسخة عزام

نفسه :– ص ١٦٨ ، نسخة بيروت ،بعنوان ، [المكاء الطائر والسرطان].

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نستشف أنّه ليس الحقيقة ما يسير الناس ، وإنما ما يعتقدون أنّه الحقيقة . فقد قام دمنة بإيهام كل من الاسد والثور بحقيقة صاحبه الغادرة زوراً وبهتاناً .

فإذا كانت الشخصيات ينبغي لكي تتصرف أن تعلم شيئاً (إعلان نبأ ، أوحوار مسموع ..) من جهة ، فإنها تؤدي وظيفتها نظراً لأنّها من جهة أخرى قد رأت شيئاً .

لعل نمط الوصل هذا يكشف عن مكر دمنة ودهائه الذي كان لا بد له كي ينجح في القضاء على الثور أن يؤلبه على الأسد بعد أن ألّب الأسد عليه . وذلك قبل أن يلتقيا بعد الخديعة ، فطلب من الأسد أن يرسله ليستطلع انباء الثور ، وذلك خوفاً من أن يراه أحد يتسلل إليه ، فيكشف فعله .

وقد بنى حيلته موظفاً حاسة البصر ، فالأسد سيرى على الثور علامات تدل على خيانة الثور له . والثور بدوره سيرى على الأسد علامات تنبيه عن سوء ما يضمره له من غدر .

ولقد اقترح ابن آوى على الغراب في الحكاية الفرعية أن يلقي الحلي عند بيت الأسود ، فيرى الناس الأسود فيقتلوه ، وكذلك فعلت الأرنب حين أخذت الأسد إلى جب الماء لتريه صورته أو الأسد الآخر المغرور .

إن عنصر الرؤية هذا يذكرنا بالوثائق والمخطوطات المطلوبة المساندة لإثبات الحقائق أو للدلالة عليها . وكما هي كذلك فهي تعنى بالظاهر من الأمور ، دون تعويل كبير على الباطن من دلالاتها .

ولعل في موقف الأسد والثور إشارة إلى أن الحواس قد تخدع الانسان ، إذ قلّما تكون الأمور في الحقيقة كما تبدو عليه في الظاهر .

ومع ذلك فإنّ الرؤية والسّماع هما وسيلتا العلم إذ يعوّل عليهما في إثبات الشهادة[1] .

لقد اكتشف النمر الإساءة بفعل أعمال لا تتسم بالحيطة . وهو معاتبة كليلة لدمنة بعد منتصف الليل ، ولومه له وعصيان دمنة . إن وقوف النمر للاستماع يعني أنّ صوتهما كان

---

(١) انظر حكاية الناسك واللص ، ص١٣٧ ،بيروت

تكرار قول كليلة « وكل ذلك بعين الناسك وسمعه »

كما ركزّ دمنة في حكاياته التي رواها للحضور في المحكمة على هذا الجانب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مسموعاً بحيث يبلغ من يقف بالباب ، وقد غفلا عن أنّ منزلهما يقع بالقرب من منزل الأسد باعتبارهما في خدمته . وقد كرّرا الفعل نفسه في حديثهما في السجن والفهد المحبوس يستمع دون أن يتنبها لوجوده أو لخطورة ما يتحدثان فيه .

وقد انفرد دمنة في المحكمة ، بسرد الحكايات الفرعية ، وقد عرض فيها وجوهاً أخلاقية في محاولة للتغطية على فعله غير الأخلاقي . ذلك لأنّ المهمة التي يعمل من أجل إنجازها أبلغ ضراوة من المهمة الأولى التي سعى إليها . إنّه يعمل في المهمة الجديدة على التماس الخلاص لنفسه مما أودى بها إليه ، فيوظف كل معرفته وطاقاته لإثبات براءته مما أسند إليه ، لذا نجده ينتقد بطانة الملك ويكشف عيوبها ، وقد كان أولى به لوكان ناصحاً أن يفعل ذلك وهو قريب من الملك ولكنّه كان يريد بالقرب من الملك نفع نفسه لا نفع الملك . فاحتفظ بصداقات بطانة الملك رغم عيوبهم ، ثم لم يرعو عن إرهابهم وإرهاب الآخرين من التدخل في أمره ، بكشف عيوب المتحدث مرة ، ومن خلال الحكايات مرات أخرى ، خوفاً من أن يقدموا خبراً أو أمراً قد يعين على إثبات التهمة عليه .

إن الحيلة التي قامت عليها وقيعة دمنة بين الأسد والثور ، والتي أعاد استخدامها للدّفاع عن نفسه في المحكمة ، هي الحيلة الكلامية مستغلاً من خلالها سنة التبدل والتغير الكامنة في الذات الانسانية لإحداث الأثر المطلوب . وقد أكدّ الثور من قبل على قوة الكلمة وأثرها في النفس ، بقوله مخاطباً دمنه : «ترى أنّ الماء ليس كالقول ، وأنّ الحجر أشد من الإنسان ، والماء إذا دام انحداره على الحجر لم يزل حتى يثقبه ويؤثر فيه ، وكذلك القول في الانسان»(١).

غير أنّ حيلة دمنة الجديدة لم تنطل على الأسد كما انطلت عليه الحيلة من قبل ؛ لأن الأسد لم يعد ضعيفاً فمعه جمع من العلماء يعينونه ، أولهم أمّه ، خير أمين على حكمه بفضل ما اختصّت به من ميزات .

لقد قامت أم الأسد بمهمة صعبة هي مهمة : إصلاح الإساءة ، والضرر الناجم عنها في نفسية الملك . وقد مهدّت لهذه المهمة في سؤالها الأسد عن حزنه ، ومحاولتها إخراجه من هذا الحزن ، ثم اقنعته بوقوع الظلم وضرورة الانصاف ، فحفزت القيام بالمهمة تحفيزاً حقيقياً حين أعلنت عن رغبتها في إقرار الحق وإبطال الباطل ، وتمييز البطل الحقيقي من البطل المدّعي المزيف

---

(١) كليلة ودمنة : باب الأسد والثور ، ص ١٧٩ ، بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ محتوى هذه المهمة إذن تبرئة المظلوم ، وعقاب الشرير وإصلاح الملك ، وقد استعانت أم الأسد بكل الأعوان الخيرين من أجل إنجازها ، ليكون لها السبق بتحقيق ذلك لأنها امتلكت إلى جانب رجاحة عقلها إلهاماً نفسياً عميقاً ، واستبصاراً روحياً ، جعلها تصدق النمر وتتصور مراحل الحل ، وتسعى من أجل تنفيذها بأمر من الملك دون أن يشعر أنّها الآمرة .

إنّ أم الأسد صاحبة شخصية قوية ، تقابل شخصية دمنة بالقوة والعلم بطبائع الناس وأحوالهم والدراية بأمورهم ، ، إذ إن صفاتها تؤهلها للموقع الذي تشغله ، فهي سيدة حكيمة عاقلة يظهر عقلها من خلال أفعالها ، التي اتسمت بالإيجابية وتمثّلت في :

- كتمها السر ، الذي باح لها به النمر رغم حرج الموقف ،
- وفائها بالعهد .
- احتفاظها بصداقات رجال مخلصين أمناء تعدهم إخواناً لها ، تستعين بهم على أمور الحكم الذي تعد نفسها مسؤولة عنه ، باعتبار أنّ الرجل الذي يؤدي أكثر المناصب حساسية فيه هو ابن لها فتتفّهم مسؤوليات الحكم والسيادة ، ثم تعمل على معالجة الخلل معالجة عقلانية ما كان الملك ليستطيع أن يخرج منه لولا ما قدمته له من عون ونصح ، ولاضحى بدون تدخلها عرضة لتقويض حكمه .
- مساعدتها الملك على فهم أبعاد ما أقدم عليه من فعل بشأن الثور ، حيث أعانته على الخروج من الأزمة ، كما عزّزت في داخله قيم السيادة في غايتها لتحقيق الخير ، وسعيها نحو بلوغ العدالة للجميع .

لقد اشتملت أم الأسد على خصائص تقارن بخصائص دمنة ، فكلاهما ذكي ذو عقل ، كما أنّ المهمة التي قامت بها أم الأسد تقابل مهمة دمنة ، غير أن المقابلة بينهما تقوم على الثنائية التي انتظمت حكايات الباب جميعاً وهي (القوة / الضعف) . إذ يمكن تمثيلها في العلاقة التالية :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دمنة (العقل الشرير السلبي)	أم الأسد (العقل الخير الايجابي)
استخدام الحيلة الخادعة الكاذبة	المواجهة الصريحة الصادقة
نفع النفس بالظلم والانتصار للباطل	نفع النفس والغير بالحق
خيانة العهود	الوفاء بالعهد

لقد حدث نتيجة قرب دمنة من الأسد لقاء إيجابي تمثل في صداقة الأسد والثور ، وهو أمر في ظاهره خير للطرفين ، ولكنه في الحقيقة لقاء سلبي ، أسفر في النهاية عن الشر الكامن فيه ، بفعل حيلة دمنة بقتل الأسد للثور . في حين حدث نتيجة ظهور أعوان الملك الأمناء المخلصين ، لقاء إيجابي تمثل في إخراج الأسد من الورطة التي حلت به بسبب المعتدي الشرير ، ثم عقاب الشرير بالقتل الذي يعد فعلاً إيجابياً في هذا الموقف لأنّ فيه انتصاراً للحق والعدل والخير .

لقد دافعت أم الأسد عن الحق ، في حين كان دمنة يتمسك بالباطل ، فأرادت الحكاية أن تؤكد أنّ الحق أقوى من الباطل .

لذا فإن انتصار أم الأسد على دمنة ، يعد بشكل آخر انتصاراً للعقل الخير الايجابي ، على العقل الشرير السلبي . من هنا يمكننا أن نصنف :

أم الأسد ، الحمامة المطوقة ، والأرنب ، والأرنب فيروز ، جماعة الطير ، وابن آوى والغراب ، السرطان في منظومة واحدة ، ذلك لأن التصنيف يعتمد على الخصائص البنيوية والداخلية ، وليس على الخصائص الخارجية المتغيرة .

إنّ الأسد هوالشكل الأساسي للملك ، كما أنّ الحكاية لا تجتذب إلى عالمها إلا ما يطابق أشكال بنائها ، غير أنّ التشابه المورفولوجي بين الحكايات أو بين حكايتين يمكن أن يؤول باعتباره نتيجة صلة تكوينية تقوم على الشيء ونقيضه أو على العلاقات الضدية بين الأشياء ، إذ تحظى الأرنب بقوة تفوق قوة الأسد الفعلية إلى الحد الذي تتمكن فيه من قتله ، فتستبدل موقعها بموقعه في منظور القوة والضعف .

ويمكننا أن نُصنّف على الطرف النقيض : دمنة ، العلجوم ، الخب ، الصياد

إنّ جميع الحكايات تتوافر على مبنى حكائي واحد في شكل روايات مختلفة ، فالحدث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يمكن أن يتكرر أحياناً بشكل آلي تماماً ، وبغية إيقاف تواصله ، يكون من الضروري إدراج بعض العناصر التي توقف التطور وتستدعي التكرار .

على هذه الشاكلة يترسخ حضور عناصر ترتبط أصنافها مثنى مثنى ، أو ثلاث ثلاث ، بصورة دائمة ، أو متغيره ، وذلك بمقتضى ضرورة منطقية أو جمالية أحياناً ، ففي الحوار بين كليلة ودمنة قبل دخول دمنة الأول على الأسد نجد مقابلة في الأقوال ، ثلاثة لكليلة ، مقابل ثلاثة لدمنة . مثلاً : يقول كليلة : «وقد قالت العلماء : إن ثلاثاً لا يجترىء عليهن إلا أهوج ولا يسلم منهن إلا قليل ، وهي ...»[١] . في حين يقول دمنة : «وقد قيل : إن خصالاً ثلاثاً لن يستطيعها أحد إلا بمعونة من علو همه وعظيم خطر ، منها ...»[٢] .

وضمن هذا السياق نجد دمنة يروي ثلاث حكايات لكليلة في سعة فهمه للحيلة وأصولها قبل مقتل الثور ، تقابلها رواية كليلة لدمنة ثلاث حكايات أيضاً في فشل الحيلة بعد مقتل الثور ، لأن حيلة الشر دوماً فاشلة ، حتى لو بدا أنّها حققّت بعض النجاح ، لأن هذا النجاح الظاهر ينطوي على الفشل الفعلي .

وما دام النجاح غالباً مرتبطاً بالمساعدين ، فإن من أهم صفات المساعد حكمته التنبؤية ، فقد تنبأ كليلة لدمنة بالفشل ، مثلما تنبأ ابن آوى للغراب بالفشل إن عمل ما كان قد عزم عليه ، بيد أن دمنة لم يعمل بحكمة كليلة ونصحه فباء بالفشل ، في حين عمل الغراب بحكمة ابن آوى فتجنب الفشل وسوء العواقب ، بل وقضى على عدوه بأيسر السّبل .

إن رد فعل دمنة السلبي أعقبه الفشل في حين أعقب رد فعل الغراب الايجابي النجاح .

إنّ عنصراً من عناصر الحكاية قد يتحول إلى حكاية مستقلة وقد يعمل على ولادة حكاية جديدة ، بيد أنّ الحكاية ككل كائن حي لا يمكن أن تلد إلا ذرية على صورتها ، فإذا ما تحولت خلية هذا الجهاز العضوي إلى حكاية صغيرة داخل الحكاية ، فإنّها تنبني حسب نفس قوانين أية

---

(١) كليلة ودمنة ، باب الأسد والثور ، ص ١٢٦ .

(٢) كليلة ودمنة ، باب الإسد والثور ، ص ١٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حكاية أخرى .

وتتألف أغلب الحكايات من عدد من المقاطع ، ينتهي أحدها مثلاً بصورة إيجابية ، والآخر بصورة سلبية ، وهكذا ، حسب القيمة التي ترغب الحكاية تأكيدها . فالغراب في حكايته مع الأسود يقدم نموذجاً سلبياً للحيلة ، فيعنفه صديقه ابن آوى ، ويروي له حكاية في عاقبة من يفعل مثل فعله ، ثم يعود إلى سياق الحكاية الرئيسية حيث يقدم نموذجاً إيجابياً للحيلة الناجحة .

وهناك أصناف يمكن أن يتصل طرف منها بعدد من أصناف الطرف المقابل وليس جميعها ، هكذا يمكن أن ترتبط الحيلة بحيلة مضاده مباشرة ، أو باسترجاع حق يعود فضله إلى مساعدين أو أكثر كما حدث مع وكيل البحر والطيطوي حيث نجد أنفسنا بإزاء وضعية ، تتوجه فيها الضحية إلى آخرين طلباً للنجدة ، فقد تم التوجه أولاً إلى جماعة الطير وبعد ذلك إلى العنقاء ، ومثل ذلك فعل الغراب حين لجأ إلى ابن آوى ليعينه على الأسود وكذلك فعل العلجوم حين طلب مساعدة السرطان .

إن كلاً من ابن آوى ، جماعة الطير ، والسرطان ، يبدون بمنزلة المساعدين ، ولكن القراءة المتأنية لدوافع كل منهم والدور الذي قام به تكشف عن مفارقات مدهشة قد لا تتنبه لها الضحية التي تطلب المساعدة ذاتها . فالعلجوم والسرطان غالباً يجتمعان في حكاية واحدة .

والعلجوم يطلب معونة السرطان أو العكس .

ولكّن العلجوم في الحالتين خاسر ، إذ يقضي عليه السرطان في الحكايتين : في الحكاية الأولى بشكل مباشر ، وفي الثانية بشكل غير مباشر ، ذلك لأنّ العلاقة بينهما قائمة على العداء ، كما أن العلجوم مغفل لا يتدبر في الحيل .

ويتوفّر النّص على خاصية جمالية مدهشة هي : أنّ دمنة احتال ليقضي على الثور بحيلة ظاهرة في الحكاية ، وذلك رداً على حيلة الثور المضمرة التي لاتبين إلاّ للمجرب العاقل مثل كليلة ، إذ لم يظهر الثور رغبته في الوصول إلى الأسد ولم يحدّث دمنة بها ، بل أظهر ضعفه وقلة حيلته حتى حصل على ميثاق الأمان ، فغلب دمنة على منزلته بعقله وأدبه .

إنّ الحكاية لا تبين عن رغبة الثور ، ولا عن عقله وأدبه إنّها تتحدث عن إعجاب الملك بعقل الثور وأدبه ، ولكنها تضمر مواقف الثور الظاهرة التي استحق بموجبها ثقة الملك ، وتتركها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاستنتاج القاريء ثم تبرز لاحقاً موقف الثور من وقيعة دمنة ، وتحليله لهذه الوقيعة ، ونظرته فيها ليظهر من خلال استنتاجاته ، وفهمه لشروط السّيادة عمق نظرته في الأمور ، وعلمه بها ، لولا انخداعه ، إذ فاته أن الحظوة كانت لدمنة عند الأسد ، والإنسان مجبول على الحسد .

لقد أدركت أم الأسد أنّ السّيادة الذاتية ، سيادة الإنسان على عالمه الخاص حين يتحول إلى سلوك فعال في المجال الإنساني يمكن له أن يحقق الوجود الانساني الفعال والمثمر .

فلا وجود إذن بدون سيادة ذاتية ، ولا سيادة فعالة دون معرفة ، وفهم لتفاصيل النفس البشرية ، لا بد إذن من المواجهة ومن إقامة السلام بين النفس وبين العقل من جهة ، وبين النفس وبين الآخرين من جهة أخرى ، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بالفهم والإرادة ، وثمن هذه السيادة هو الانتصار على الماضي ، وقيادة الحاضر .

والصديقان شخصان مختلفان في العقل والطباع وفي المفاهيم ، وفي الدم والصحة ، بل وفي اختلاف الآباء والآمهات ، وهذه هي مشكلة التوازي عند الصديقين ،التي ينبغي أن يحكمها العقل لتستقيم .

إن أساس جوهر الصداقة الحقيقي إذن هو الصدق في المعاملة وحسن التفاهم ، والتعاون الإنساني وعلى رأسها جميعاً الإيثار والتضحية من أجل الآخرين . لذا عملت أم الأسد على إكساب الملك معرفة جديدة عبر ممارسة تجربة عملية جديدة ، ليتعلم كيف يكون اجتماعياً ، ففي العلاقات الاجتماعية نفع عظيم لا يعّوض في تهذيب الشخصية وإظهار ميزاتها وقدراتها الدفينة وهذه القدرات إذا ظهرت ساعدت على ثقة الانسان بشخصيته ، وبالتالي اكتساب ثقة الآخرين به .لقد قدّمت الحكاية في باب الفحص عن أمر دمنة صورة جديدة للملك تتسم بالعقل والحيطة والحذر ، وذلك بحضور الأعوان ومساندتهم ، حيث توحي بإمكانية التطور والتحسين ، وذلك لتؤكد على أنّ (الأسد – الملك) هو الشخصية الوحيدة بين شخصيات الحكاية التي حقّقت الربح بعد الخسارة على المدى البعيد ، ولكّن هذا المكسب لم يتحقق للملك لأنّه مركز السلطة وحسب ، وإنما بفضل ما تيسّر له من سعي من أجل تقويمه بعد الخسارة التي ألمت به ، وهو البطانة العاملة التي أعانته على تحقيق ذلك الانجاز وهم : أم الأسد – النمر الأمين الصدوق (صاحب القضاء) – الجوّاس العادل والشعهر الأمين .

فقد خسر الأسد صديقه الثور ولكنه كسب في المقابل نفسه ، إذ إن التجربة المؤلمة التي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عاشها أفادته حين لم تفقده رشده ، وإنما منحته القوة : قوة العقل التي استطاع بموجبها أن يعيد النظر في نفسه وملكه ، ووزراء دولته ، فيصلح ما أمكنه من عامة أوضاعه ، حيث يمكننا أن نسجل المكاسب التي حققّها الملك بـ :

- الخروج من الألم والحزن .

- امتلاك زمام العقل في الفحص عن أمر دمنة ، والحزم في محاكمته .

- إصلاح بطانته ، وتخير أعوانه .

- استشارة من حوله من البطانة الحكيمة العاقلة .

ليثبت استحقاق السيادة بالأهلية والقدرة . في الوقت الذي انتهت فيه مغامرة دمنة بالموت أي بالخسارة المطلقة ، كما انتهت كذلك مغامرة الثور إذ خسر حياته ، كما انتهت علاقة كليلة بدمنة ، بالخسارة الفعلية .

غير أنّ هذه النهايات لم تأت من فراغ ، وإنما أدت إليها أفعال الأشخاص أنفسهم ، وردود أفعالهم ، تجاه المواقف والضغوط التي مرّوا بها وواجهوها ، وذلك في ضوء غياب العقل أو حضوره .

تحبذ الحكاية الطموح إذن شريطة أن يكون مبنياً على قوّة . كما ترتبط عوامل نجاحه أو فشله بالفعل ، والغاية منه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلم والعمل

تثمن الحكايات العلم ، وتشبهه لندرته وتفرده بالجوهر ، وبالشّجرة ، وتربط العلم بالعمل فالعمل هو الثمرة التي تقدمها شجرة العلم . وتتّخذ موقفاً إيجابياً راسخاً من ذلك حين تعيب صاحب العلم الذي لا يعمل بعلمه فتعدّه من الجهّال ، وتقدم لذلك الأمثلة(١) .

قام بيدبا بمهمة صعبة هي مهمة إصلاح الملك ، وقد مهّد لذلك أن فكّر في وجه الحيلة في صرفه عما هو عليه من الظلم ، وردّه إلى العدل والإنصاف ، فجمع لذلك تلامذته ليستشيرهم في أمره . حيث نستخلص من ذلك وظيفة الأعوان ، وهي رد الملك إلى فعل الخير ولزوم العدل؛ لأنّ الأعوان إن لم يقوموا بهذا الدور أو إن غفلوا عنه ، عمّ البلاء ، ووقع المكروه ، وأصبحوا في «أنفُس الجُهّال أجهل منهم ، وفي العيون عندهم أقل منهم»(٢) .

إنّ أهم ميزة في الأعوان إذن هي العلم ، ولعلنا بذلك نستطيع أن نفهم التّحدي الذي قدّمته «أم الأسد) لأعوان الملك بشأن دمنة ، حين قالت : «العلماء منكم هم الذين يوضحون أمره بفصل الخطاب»(٣) .

فقد قرنت «أم الأسد» استحقاق العلمية بالعمل إمّا بالحيلة أو في حسن التثبت مما يدّعي ، والرّوية ، وإطالة النّظر وحسن التقدير للخروج بالنتّيجة السليمة لإحقاق الحق ، وإبطال الباطل .

ولمّا كان العلم لا حدود له كان لا بد من الاستشارة بمعنى أن يكون للملك أكثر من مستشار . «فإنّ الوحيد في نفسه والمنفرد برأيه حيث كان ، فهو ضائع ولا ناصر له»(٤) كما أن ذا الرأي الحازم لا يدع أن يشاور من هو دونه أو فوقه في المنزلة والرأي الفرد لا يكتفي به في الخاصة ولا ينتفع به في العامة»(٥) . «فإنّ الملك لا يستطاع ضبطه إلا مع ذوي الرأي ، وهم الوزراء والأعوان ، ولا ينتفع بالوزراء والأعوان إلاّ بالمودّة والنّصيحة ، ولا مودّة ولا نصيحة إلاّ لذوي الرأي والعفاف . وأعمال السلطان كثيرة ، والذين يحتاج إليهم من العمال والأعوان

---

(١) انظر الأمثلة : «المكتشف الكنز» ، «والرجل الصابر على اللص» ، «البصير والأعمى» : كليلة ودمنة ، الصفحات ٦٩ – ٧٤ ، بيروت

(٢) كليلة ودمنة : ص ١٧

(٣) نفسه : ص ٢١٢

(٤) نفسه : ص ١٩

(٥) نفسه : ص ٢١ – ٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كثيرون ، ومن يجمع منهم النّصيحة والعفاف قليل»[١] .

وتلتقي حكاية [الأسد وابن آوى الناسك][٢] مع حكاية [الأسد والثور] في التأكيد على اختبار الأعوان الصالحين وخاصة أولئك الذين ينتخبون للمهمات الصعبة – وإن كان الطّرح مختلفاً – إذ تحذر من الدسيسة ، والتّسرع في إصدار الأحكام ساعة الغضب دون تثبت أو روية ، وتدعو إلى التبين في الأمور ، ومراجعة الملك من أصابته منه عقوبة من غير جرم أو جفوة من غير ذنب خاصة إذا كان «ممن يوثق به في رأيه وأمانته ، فإنّ الملك حقيق بالحرص على مراجعته»[٣] .

إن الرسول الذي عاد للملك بالرسالة الكاذبة في حكاية [الأسد وابن آوى الناسك] يدعونا للتوقف عند صورة الرسول في بناء الحكايات ، فالرسول الكاذب كاد أن يجر الملك إلى سوء العواقب ، كما جرّ دمنة الأسد إلى قتل صديقه الثور وخيانة عهده .

وتبرز حكاية [ملك الفيلة ورسول الأرانب][٤] مثالاً لصورة الرسول إذ تنجح (الأرنب فيروز) في إنقاذ مملكة الأرانب من الخطر الذي كان يهددها . فكانت بذلك صورة لملك الأرانب الذي أرسلها فهو يقرّب العقلاء ، ويستشيرهم ، ويعمل برأيهم ، ذلك «أنّ الرسول برأيه وعقله ولينه وفضله يخبر عن عقل المرسل»[٥] .

أما في حكاية [إيلاذ وشادرم وإيراخت][٦] فيظهر دور الوزير الناصح (إيلاذ) في إعادة الملك إلى جادة الصواب عن طريق سرد الأمثال التي تحث الملك على الحلم ، وعلى مراجعة نفسه بشأن من أصابته منه عقوبة بعد أن ندم على ما فرّط في حكمه على إيراخت بالموت .

وتظهر في هذه الحكاية خاصية جمالية تتعلق بمستشار الملك ، إذ من شروط نجاح المستشار أن يكون عالماً بآداب «الآيين»[٧] . فحين تنبأ كليلة لدمنة بالفشل ، نبّهه إلى أنه لم يكن عالماً بآداب

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ٣٤٦ بيروت

(٢) انظر الحكاية ، المصدر السابق ، ص ٣٤٥

(٣) نفسه ، ص ٣٤٥ – ٣٤٦

(٤) انظر الحكاية ، المصدر السابق ، ص ٢٧٢

(٥) نفسه : ص ٢٧٣

(٦) نفسه : ص ٣٦٦

(٧) الآيين : الآداب التي يجب أن يسلكها الملك مع الناس ، والناس مع الملك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملوك ، فهو لم يصل إليهم من قبل ، فكيف سيسلك مع الملك ليبلغ الحظوه لديه ؟

وقد فشل دمنة فشلاً ذريعاً على المستوى الحقيقي في أول اختبار له في الاعتماد على حسن رأيه وعقله حين تطاول على الملك بالاستفهام على وجه النّصيحة عن سبب إقامته في مكانه واختلاف حاله ، وكان أولى بدمنة أن ينتظر ليخبره الملك بنفسه فيتثبّت بذلك من بلوغه المنزلة لديه بدلاً من أن يفرض نفسه عليه .

فمن آداب «الآيين» ألاّ يسمح الملك لأحد من جلسائه أن يقدم نصيحته أو رأيه في أمر إلا إذا سأله الملك ذلك أو طلب منه الحديث ، ولكن دمنة استغل ملكاً ضعيف الرأي جاهلاً ، لا يأخذ بالاستشارة ، فحاول أن يوجهه ليحقق مطامعه . وقد أخبره الملك بالفعل عن سبب إقامته وقلقه ، لأنّه واقع تحت وطأة الانفعال والخوف ، ثم ندم على تفريطه «إذ ينبغي للملك أن يحصّن أموره من أهل النّميمة ، ولا يطلع أحداً منهم على مواضع سره»[١] . وقد كان من المفروض أن يكون دمنة مجرد قوّة يوجهها عقل الملك ، لا أن يوجه الملك ، بمعنى أن يهتم بشؤونه ولا يتحرك إلا حين تصدر إليه الأوامر .

في حين نجد على الطرف النّقيض موقف المستشار أو الوزير الناصح (إيلاذ) الذي لاحظ أنّ حزن الملك (شادرم) قد طال ، فتأثر لذلك ، ولكنّه لم يسأل الملك عن السبب لعلمه بآداب الملوك . قال : «ما ينبغي لي أن أستقبل الملك فأسأله عن هذا الأمر الذي قد ناله من غير أن يدعوني»[٢] .

ولمّا امتد حزن الملك ، تلطّف إيلاذ لمعرفة السبب أن لجأ إلى الملكة إيراخت يستعين بها على معرفة ما أشكل على الملك ، ليعينه على الخروج من محنته فكان التوفيق حليفه .

ومثل ذلك فعل النمر حين لجأ إلى أم الأسد ولم يذهب إلى الملك مباشرة بعد أن كشف مؤامرة دمنة .

وهنا تبرز الحكايات فائدة : أنّ على الأعوان أن يبادروا إلى القيام بدورهم ، وأن يحتالوا لذلك ، وقد فعل إيلاذ ذلك حين طلب من إيراخت أن تصفح عن الملك حتى تعرف سبب حزنه وأن تتطلف لمعرفة ذلك ، وتمكيناً لأدائها هذا الدّور ذكرّها بحب الملك لها ، وعظم منزلتها عنده

---

(١) كليلة ودمنة : ص ٢٩٦

(٢) نفسه ، ص ٣٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال بيديا – وكان أول من بادر إلى القيام بالمهمة الصعبة – : «والواجب على العلماء تقويم الملوك بألسنتها ، وتأديبها بحكمتها ، وإظهار الحُجّة البينة اللازمة لهم ليرتدعوا عمّا هم عليه من الاعوجاج ، والخروج عن العدل»[١] فإن للملوك سكرة كسكرة الشّراب ، فالملوك لا تفيق من السكرة إلاّ بمواعظ العلماء ، وذلك فرض واجب على الحكماء لملوكهم ليوقظوهم من سنة سكرتهم[٢] .

لقد جاد بيدبا بحياته ، كما جاد الغراب النّاصح بحياته ، فحمل نفسه على التّغرير أو الظّفر بما يريده وكذلك فعلت الحمامة المطوّقة وبرزويه[٣].

قال بيدبا : «فكرهت أن يموت أو أموت وما يبقى على الأرض إلاّ من يقول إنّه كان بيدبا الفيلسوف في زمان دبشليم الطاغي فلم يرده عما كان عليه»[٤]. «فرأيت أن أجود بحياتي فأكون قد أتيت فيما بيني وبين الحكماء بعدي عذراً ، فحملتها على التّغرير ، أو الظّفر بما أريده ، وكان من ذلك ما أنتم معاينوه»[٥] .

لقد نجحوا جميعاً (بيدبا – الغراب الناصح – برزويه ، والحمامة) في مهامهم الصعبة ، في حين فشل الكثيرون مثل (دمنة ، الثور) بسبب تغريرهم بأنفسهم . ذلك أنّ المغامرة مرغوبة بل ضرورة وفضيلة إذا كانت تهدف لتحقيق منفعة عامة ، أو كانت في سبيل الانتصار للمثل ، والغايات العليا النبيلة في حياة الناس وترسيخها .

إنّ نصيحة الملك تدخل في باب المغامرة ذلك لأنها ترتبط بالصّداقة . والصداقة لا حدود لها فهي مدى مفتوح من العلاقات ، لذا يصعب تحديد العلاقات داخلها ، ورغم ذلك فإنّ الصداقة في الحكايات ذات بناء سلمي ، فهي قد تصل إلى مرتبة الوزارة والولاية ، وقد تسف إلى حد التآمر والعداء ، وذلك في شكليها : الظاهري والباطني ، لذا تحذر الحكايات منها ،

---

(١) كليلة ودمنة ، ص ٣٧، بيروت

(٢) نفسه ، ص ٣٧ ، بتصرف

(٣) قام برزويه بمهمة صعبة وهي مهمة إحضار الكتاب من الهند ، أي بمعنى آخر نقل الحكمة . فقام باختبار «أدويه» ليستصفيه وقد ساعده «أدويه» رغبة في إخائه بسبب رصانة عقله وتحفظه وتحرزه وقدرته على كتم سره ، فعاد بالكتاب إلى بلاد فارس ، ليتخذه الملك وزيراً له . فطلب مكافأة على ما قام به تخليد فعله . انظر : باب برزويه، ص ٨٨ .

(٤) كليلة ودمنة ، ص ٣٧

(٥) نفسه ، ص ٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتؤكد عليها . بل لعلها البنية الأكثر تكراراً في الحكايات ، والتي تحتاج إلى ضابط في كل الأوقات لأنّ الخديعة أو العداوة التي تتخذ من الصداقة قناعاً لها ، أمر مألوف في الصراعات بين الشعوب والأفراد : فقد استطاع دمنة في حكاية (الأسد والثور) أن يخدعهما معاً ، لأنّه ظهر لهما بصورة الصادق الناصح ، حيث تنطوي الصداقة هنا على قوّة خادعة مهدده تنذر بالدمار[1] ومثل ذلك فعل الغراب حين لجأ إلى ملك البوم وأوهمه بصداقته . وفي حكاية «القرد والغيلم» كانت الصداقة سبباً في الحيلة ، وفي نجاحها ، ومن أسباب فشلها .

فقد أشارت جارة زوجة الغيلم على صديقتها بالتمارض لاستعادة زوجها ، ورضيت زوجة الغيلم بالاحتيال للقرد بسبب صداقته لزوجها الذي تريد أن تحتفظ به لنفسها تحت وطأة الشعور بالغيرة الزوجية . وكانت الصداقةسبباً في نجاح حيلة الغيلم ، حين دعا القرد لزيارته في منزله لتتوطد بينهما أواصر المودة والألفة ، وكان ذلك على المستوى الظاهري ، وإنما أراد الحصول على قلبه لعلاج زوجته ، كما كانت الصداقة سبباً في فشل حيلة الغيلم بسبب أنّ القرد أبدى رغبته العميقة واستعداده لمساعدة صديقه في معالجة زوجته ، على أن يعيده للشاطىء لإحضار القلب المطلوب .

إنّ الصداقة في الحكايات وظيفة كبرى تندرج تحتها النصيحة باعتبارها وظيفة فرعية ، ولقد قدّم الكتاب نموذجاً للنصيحة الصادقة الخالصة حين جعل بيدبا يقوم بهذا الدور ، ويطلب الأمان من الملك قبل أن يفعل ذلك ، ثم ليخسر في سبيل ذلك مبدئياً حين حكم عليه الملك بالموت . ثم عدل عن ذلك إلى الحبس حتى عفا عنه أخيراً لأنّه أقدم على ذلك بسبب حكمته ، وغيرته على مصلحة الملك . فإذا كانت نصيحة بيدبا تندرج تحت حيلة الخير ، فإنّ نصيحة جارة زوجة الغيلم للزوجة تندرج تحت حيلة الشّر التي لا تجر على صاحبها إلاّ عواقب السوء ، وقد امتد السوء إلى الغيلم الذي خسر كل شيء حين انساق وراء رغبة زوجته وجارتها .

بل لم يربح سوى الشعور بالغدر الذي حملته عليه النصيحة الكاذبة الناجمة عن الصداقة والجهل.

من هنا تأتي أهمية الاختبار للتفريق بين (العدو والصديق) . فالثقة لا ينبغي أن تمنح إلاّ لمستحقها ، فقد نجحت [الحمامة المطوّقة] ، لأنها لجأت في طلب الحماية والمعونة من الأخ الثقة

---

(١) أنظر أيضاً حكاية «الناسك واللص» . وقد أوهم اللص الناسك برغبته في صداقته حين أراد سرقته . انظر : كليلة ودمنة : ص ١٣٧ ، بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو الجرذ ليعينها على الخروج من الورطة[١] .

وعلى نحو مشابه في حكاية [الحمامة والثعلب ومالك [٢]الحزين] تقع الحمامة في ورطة ، ولكنها تستشير صديقاً لها هو مالك الحزين الذي ينصحها بحيلة ما تحميها من الثعلب الذي يعتدي على صغارها ، فتنجو بنفسها وبهم من مكره وشروره .

ويبرز هنا التحذير من الثقة بالعدو على العموم أو على وجه النصيحة . فقد قتل العلجوم مراراً بسبب انغراره بعدوه السرطان ومثل ذلك حدث [للصفرد والأرنب] اللذين وثقا بالسّنور وهو لهما عدو فجعل يحتال لهما حتى افترسهما ، وكذلك حدث لجماعة البوم حين وثق ملكهن بالغراب ، الذي احتال عليهم حتى أهلكهم .

ولكن الأمر مختلف في حكاية (الجرذ والسّنور[٣]) اللذين جمعتهما الحالة ، وإن اختلفا في الطّباع فتصالحا ، حتى إذا ما زال الخطر الذي يهددهما ، وتخلص كل واحد منهما بسبب صاحبه . رفض الجرذ بعد النجاة الاسترسال للسّنور حين طلب منه السّنور ذلك بسبب أن العلاقة بينهما قائمة في الحقيقة على العداء . قال الجرذ : «فأمّا من كان أصل أمره عداوة جوهرية ثم أحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك ، زالت صداقته فتحولت وصارت إلى أصل أمره»[٤] . «فربّ صداقة ظاهرة ، باطنها عداوة كامنة وهي أشد من العداوة الظاهرة»[٥] . وقال أيضاً :«لا خير للضعيف في قرب العدو القوي»[٦] . «فاني قد علمت أن الضعيف المحترس من العدو القوي أقرب إلى السلامة من القوي إذا اغتر بالضّعيف واسترسل إليه[٧] ، والعاقل مصالح عدوه إذا اضطر إليه ويصانعه ، ويظهر له ودّه ويريه من نفسه الاسترسال إليه إذا لم يجد من ذلك بداً ، ثم يعجل الانصراف عنه حين يجد إلى ذلك سبيلاً»[٨] .

---

(١) وكذلك فعلت أم الأسد حين استعانت بالنمر والجواس العادل ،والشّعهر الأمين .

(٢) انظر الحكاية : كليلة ودمنة ، ص ٤٠٣

(٣) نفسه ، ص ٣٢٤

(٤) كليلة ودمنة : ص ٣٣٢

(٥) نفسه ، ص ٣٣١

(٦) نفسه ، ص ٣٣٢

(٧) لعلنا نفهم من (٤ ، ٥) النتيجة التي آل إليها كل من (الثور في حكايته مع الأسد) و (الاسد في حكايته مع الأرنب) إذ قتل الاثنان (الثور في الحكاية الأولى ، والأسد في الحكاية الثانية) بسبب أن العلاقة قائمة أصلاً بين كل منهما والآخر على العداء ، وتعارض المصالح ، ومبدأ القوّة والضعف .كما ان المدخل الذي ابتغى منه الفيلسوف إيصال الحكمة هو الألم .

(٨) كليلة ودمنة : ص ٣٣٢ – ٣٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما في حكاية [الملك والطير فنزة][1] فالأمر مختلف إذ نجد التحذير من القرب من أهل الترات من حيث أنّ «الأحقاد مخوفة حيث كانت» ؛ لذا لا ينبغي لذي الرأي أن يظن أن الموتور الحقود ناس ما وتر به أو مصروف عنه ، وذو الرأي يتخوف المكر والخديعة والحيل ، ويعلم أن كثيراً من العدو لا يستطاع بالشّدة والمكابرة حتى يصاد بالرفق[2] والملاينة» ، «فالعاقل لا يغتر بسكون الحقد إذا سكن»[3] إذ ما يزال الموتور في خوف ووحشة وسوء ظن ما اصطحب . ذلك لأنّ الموتور ليس العدو بالعداوة ، بل شخص قد يكون صديقاً أثير للعداوة بأسباب معينة فالعداوة ليست أصيلة فيه ، وإنما هي مربوطة بفعل الوتر فهي رد فعل قد لا يظهره صاحبه ويستمر في تمثيل دور الصديق حتى يتمكن من صاحبه . وبذلك يتضح أن ذوي الأوتار ، بمنزلة الأعداء لا ينبغي لبعضهم أن يثق ببعض . وقد كان الملك ينوي أن يخدع (فنزة) ليتمكن منه ، ولكنّ فنزة كان متنبهاً يقظاً لذلك . وقد قاس ذلك على نفسه ، فقد جعله موت الفرخ وحيداً منفرداً في مواجهة نفسه ومواجهة العالم ، إذ بقاء الفرد يعد بخلود جنسه ، وبقاؤه ببقاء ذكره عن طريق أبنائه وأحفاده ، إذن لا يمكن لفنزة أن يغفر موت فرخه حتى لو كان الفاعل ابن الملك لأنّ مثل هذه القضية تأخذ أبعاداً وجودية ، فيحس فنزة بالضعف أمام موت فرخه يفقده شعوره بالثقة ، ثم يحتج على ما فعل ابن الملك (سبب الموت) احتجاجاً بدائياً لا يترك مجالاً للعفو أو الصّفح ، ثم لينقطع الحوار بينه وبين الملك بالسلام والرحيل .

إنّ الوجه الآخر المقابل للصداقة المبطنّة بالعداء يتجلى في حكاية (الحمامة المطوّقة) حيث نجد تمثيلاً تاماً لصداقة ذات النفس ، وصداقة ذات اليد ، مع مقدار المنفعة التي يمكن أن تتولد عن علاقات الناس لو ارتبطوا ببعضهم بمودّة وحب .

---

(١) انظر الحكاية : كليلة ودمنة : ص ٣٣٤ ، بيروت

(٢) نفسه ، ص ٣٣٨

(٣) نفسه ، ص ٣٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البعد الحكمي في إصلاح الملك

لقد قدّمت الحكايات تصورين لعدم نضج الملك :

– فهو إمّا أن يخسر كل شيء ويموت فعليا كما حدث لأسد الأرنب .

– وإمّا أن يتحسن .

إنّ امكانية التّحسن يمكن أن تتحقق إذا مرّ الملك بتجارب صعبة أو مؤلمة تسمح له أخيراً بالنجاح وهي ليست إلاّ تجسيدات البطل غير الناضجة .

لذا نستطيع أن نجد رابطاً بين موت الثور ، وموت أسد الأرنب ، وذلك من أجل أن يخرج أسد الحكاية الرئيسية إلى الحياة بشكل أفضل في صورة الملك الذي اضطرته التجربة المؤلمة الى النضج ، فتجاوزها ثم أثبت أهلية القيادة عملياً في الفحص عن أمر دمنة .

فالقائد يتعرض دوماً للتجربة والصّقل حتى يحصل على الاعتراف من الشعب ببطولته ، كما حدث للحمامة المطوّقة ، فلو نظرنا إليها على ضوء أعمالها وليس على ضوء ما تتحلى به من خصال أخلاقية لوجدناها تقوم بالأعمال التالية :

١ – تسقط في الفخ ، أو تقع مع سرب الحمام في الشّرك .

٢ – تعرّض نفسها للتجربة : تجربة الخلاص من الشبكة أو مقاومة فعل الصياد ، اختبار علاقتها بالجرذ ، تقديم الحمام على نفسها .

النتيجة : تنجح في تجاربها ، وهي :

أ – تأليف الحمام وتوحيده نحو غاية عليا .

ب – الاختبار العقلي وهي الحيلة في الاتجاه نحو العمران أثناء الصراع والاصرار على استمرار البحث عن سبيل للنجاة مما ينم عن التّبصر والتخطيط السليم ، وحسن التدبير .

ج – احتفاظها بعلاقة صداقة دائمة مع الجرذ مما ينم عن حسن اختيار الأعوان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د – تخليص الحمام من الخطر الذي كاد أن يحل به .

فينتج عن تعرض الحمامة للتجارب ، ونجاحها في مواجهتها الصعود في المجتمع ، صعود أفقي وعمودي ، تمثّل الصعود العمودي في استحقاقها للرئاسة والسيادة ، في حين تمثّل الصعود الأفقي في امتداد فكرها في المجتمع من خلال المجموعة التي شكلت بتآلفها إخوان الصفاء .

فالبطلة تمثل مفهوماً اجتماعياً سياسياً يسيطر عليه مفهوم (البطل / الجماعة)[1] ، حين طلبت من الجرذ قرض الشبكة من جهة رفيقاتها أولاً . إنّ جملة الأعمال التي قامت بها البطلة تتمحور حول موضوع اجتماعي ، يتمظهر من خلال آفة أو مصيبة تهدد المجتمع ، وتعمل البطلة (القائدة) جاهدة لتخليص أبناء مجتمعها منها .

وقد قامت (أم الأسد) بدور شبيه في حكاية [الأسد والثور] بعد مقتل الثور ، حين عملت على إصلاح ابنها الأسد لأنّ في صلاحه ، صلاح الرعية ، وإقصاء المجرم والدّخلاء عن دائرة ملكه ، وتعزيز دور المستشارين ، لأنّ في ذلك ضماناً لتحقيق العدل والخير .

وكما حدث في حكاية (الأسد والثور) تدخّلت (أم الأسد) ولكن في الوقت المناسب في حكاية [الأسد وابن آوى الناسك] حين لم يلتزم الأسد بعهده مع ابن آوى . وقد كانت صورة العهد على النحو التالي :

الطرف الأول	موضوع التعاقد	الطرف الثاني
ابن آوى الناسك	أن يعين ابن آوى الملك بنفسه فيما يجب إطاعة له ، شريطة ألاّ يعجل الملك في أمره إن وشى به أحدهم ، وأن يفحص عنه ، ويتثبت من أمره .	الملك

---

(١) قام بهذا الدور : الغراب في مقابل جماعة الغربان / البوم والغربان
الأرنب في مقابل جماعة الوحوش / الأرنب والأسد
الأرنب فيروز في مقابل مملكة الأرانب / ملك الفيلة ورسول الأرانب
البوم الناصح في مقابل جماعة البوم / البوم والغربان
وإن لم ينجح الأخير في مسعاه بسبب اغترار ملك البوم بالغراب المحتال ، ولتظهر الحكاية النتائج المعاكسة بهدف تأكيد القيمة أو الأمثولة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النتيجة : عدم التزام الملك بالعقد .

فأرسلت أمّه إلى الذين أمروا بقتل ابن آوى أن يرجئوه ، ثم دخلت على ابنها وراجعته في أمره ، وذكّرته كيف أنّ العجلة وعدم التّثبت كادت تودي بالصفي الأمين من أعوانه ، إذ فات الملك تحت وطأة الشعور بالغضب أنّ ابن آوى لم يكن يتعرض للحم ولا يأكله بسبب زهده، فكيف يؤتى من هذا السبيل ، فيخون لحماً قد استودعه الملك إيّاه .

غير أنّ الاختلاف هنا يكمن في أنّ أم الأسد استطاعت أن تنقذ ابن آوى من الموت ، وابنها الأسد من الندم الذي كاد أن يلحق به لو نفذ حكم القتل . وذلك لتبرز الحكاية قيمة الأعوان المراقبين ، ولأن فعل الأسد في هذه الحكاية يختلف عن فعل الأسد في حكايته مع الثور ، فالملك في الثانية باشر قتل الثور بنفسه ، ولم يمهله أو يتثبت في أمره ، في حين أمر الأسد في الحكاية الأولى بإخراج ابن آوى من السجن ، ثم أرسل له رسولاً يلتمس منه العذر عما فعل ، وحين عاد إليه الرسول برسالة كاذبة اختلقها ، لم يتثبت منها ، وغضب ، ثم أمر بقتل ابن آوى .

لذا تحذر الحكايات من العجلة ، وعدم التثبت في الأمور ، ولا يقتصر ذلك على الحيل وإنما في كل شيء ، فكما قتل الأسد صديقه الثور دون تثبت ، قتل الناسك حارسه الأمين (ابن عرس)[١] ، وكذلك فعل ذكر الحمام الذي قتل أنثاه للسبب ذاته[٢] .

وبذلك فإنّ الغضب المتهور يهدم أركان الثقة بالنفس ، وكذلك الانفعال الحاد الذي يظهر الصورة مشوّهة مهزوزة ، لأنّ الغضب يطفيء مصابيح العقل .

على القائد إذن أن تظل بصيرته يقظة إذا غضب ، لأنّها إذا غابت عميت الرؤيا .

فالملك هو الأكثر سعادة أو الأكثر تعاسة ، خاصة إذا تعلّق الأمر بأحكامه الجائرة ، وكل ذلك بسبب العقل .

ووظيفة العقل : تنظيم علاقات الإنسان مع الغير ومع العالم الخارجي ، والانسان إمّا أن يسعد بعقله أو يشقى به ، وذلك يتعلق بالطريقة التي تحل فيها المشكلات والغاية منها .

---

(١) انظر الحكاية : كليلة ودمنة : الناسك وابن عرس . ص ٣١٨ ، بيروت

(٢) كليلة ودمنة : باب إيلاذ وشادرم وإيراخت : حكاية الحمامتين ، ص ٣٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السادس

موتيفات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرأة :

إنّ الموقف الاجتماعي من المرأة في الحكايات باعتبارها متنفذة عاقلة حكيمة يعبر عن تفكير طبقي ارستقراطي ، تحتل فيه المرأة مكانة اجتماعية لائقة ومحترمة ، إذ تضفي عليها الحكايات أروع الصفات وأعظم السّجايا لقربها من مركز السلطة . كما يحمل تعبيراً عن وضع اجتماعي تقوم فيه المرأة بنشاط عقلاني يتيح الكلام عن صداقة بها ، فالنمر يلجأ إلى (أم الأسد) يصارحها بسّره ، لأنّها خير من يعالج الأمور بالحكمة . ثم هي توفي بعهدها معه لأنّها بحكم تجربتها وخبراتها ، لا تخضع لعاطفتها في التعامل مع المشكلات بل وتعين ابنها الملك دون أن يشعر على تحكيم عقله ليتجاوز الأزمة التي واجهته بنجاح ، وذلك بفعل درايتها ، وحسن تبصّرها في العواقب[1].

وينطبق الأمر على الحمامة المطوّقه ، السّيدّة العاقلة الحكيمة التي ترتبط بصداقات مع أجناس مختلفة عنها فتستطيع بفضل ذكائها وحسن اختيارها لأعوانها الخروج بالحمام من الورطة بدراية وحنكة . وكذلك (السلحفاة) التي حلّت محل الحمامة بعد أن غابت في الحكاية في العلاقة التي تربطها بكل من : الغراب والجرذ ، والظبي ثم ما كان من حرصها عليهم وحرصهم عليها .

وقد قامت الأرنب فيروز في حكاية [ملك الفيلة ورسول الأرانب] بإنقاذ مملكة الأرانب من الفيلة بقوة العقل والحيلة ، وكذلك فعلت الأرنب التي قضت على الأسد بنفس القوّة .

في حين يظهر على الطرف النّقيض الموقف الاجتماعي من المرأة باعتبارها مصدر الشرور إذا كانت تنتمي إلى أوضاع اجتماعية دونية مثل : (امرأة الغيلم وصديقتها) ، وامرأة الحجام ، وامرأة الاسكافي وامرأة الخّراث ، إذ تتنازعهن مشاعر الغيرة والحسد . فالمرأة في ظل هذه الأوضاع لا تقوم بنشاط عقلاني ، وإنّما تحكمها نوازع الرغبة والحرص والهوى فتعود أفعالهن بالشّر على أنفسهن وعلى من حولهن .

فامرأة الغيلم (سلحفاة) ولكن دورها يختلف عن السلحفاة في حكاية [الحمامة المطوّقة] ذلك أنّ الأولى تمكر لزوجها لتحتفظ به ، بالخلاص من صديقه (القرد) فتنتهي محاولتها بالفشل

---

(١) ومثل هذا الدور قامت به (أم الأسد) في حكاية [الأسد وابن آوى الناسك] . وكذلك فعلت (إيراخت) حين أخرجت الملك من المؤامرة التي حاكها أعداؤه حوله . متعاونة في ذلك مع وزيره الأمين (إيلاذ) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذّريع ، في حين تحتفظ الثانية بعلاقات حميمة مع أصدقائها المختلفين ، ثم هي تهرع لنجدتهم ، ومؤازرتهم حين يقعون في الخطر ، أو يحتاجون ذلك . بمعنى أنّها تمتلك ميزة المشاركة التي تؤهلها لشغل المواقع الأولى الريادية في المجتمع . مما يجعل الحياة الانسانية أكثر خصباً وتنوعاً وأعمق معنى ودلالة ، وأغنى شعوراً ونبلا .

والمرأة في الطبقة الدّنيا وراء كل فتنة ، فالرجل إذا أراد أن يسرق تزيّا بزي امرأة[1] بمعنى أنّها تخفي طبيعتها الوحشية ، وحيلها للوصول إلى مآربها ، لذا تشكك الحكايات في المرأة ، وتصفها بالخيانة وقلة الوفاء ، والتقلّب في الأهواء ، وتدعو الناس إلى أخذ الحيطة منها ، إذ تخصها بارتكاب الشر .

ولا تعود مساويء المرأة إلى جنسها الأنثوي وإنما إلى أسباب اجتماعية ، بدلالة تفوق المرأة في الطبقة الارستقراطية .

وتعيب الحكايات عجز الطبقات الدّنيا عن تأدية الدور الاجتماعي الواقعي في ميدان الصراعات الطبقية ، فالرجل من هذه الطبقات يقطع أنف زوجته حين يغضب ، وفي ذلك إشارة إلى السخرية من هذه الطبقة التي لا يمارس أفرادها النشاط العقلاني وإنما يقدّمون عليه ردود أفعالهم الانفعالية ، فيتردوا بذلك إلى قاع السلم الاجتماعي .

فكأنما تريد الحكايات أن تؤكد الترتيب السّلمّي في علاقات النّاس بعضهم ببعض من جهة وبالملك من جهة أخرى ، إذ لا ينبغي لرجل من الطبقة الدنيا أن يطمح لشغل مرتبة رجل من الطبقة العليا .

إنّ ترسيخ الطبقية في الحكايات يشير إلى ارستقراطية الكتاب الذي أُلّف في ظل مجتمع تحكمه قيم وأعراف معينة في ظل ظرف تاريخي معين .

مالك الحزين مثلاً ليس عدواً للثعلب ، ولكن الثعلب يأكله ؛ لأنّه آكل لحم ، أي بحكم ترتيب الطبيعة يحق للثعلب افتراس مالك الحزين .

في حين تقوم علاقة الأسد بالثور على العداء لأنها تقوم على مبدأ القوة والضعف ، الذي لا بد أن ينتهي أخيراً بالهزيمة لأحد الطرفين بسبب تعارض المصلحتين والأضعف غالبا هو الخاسر .

---

(١) انظر حكاية : المرأة والمصور والعبد ، ص ٢٠٦، بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا عجب إذ أُلف الكتاب في عصر الطبقة السائدة فيه هي طبقة الحكام والعلماء والفلاسفة ، فمن الطبيعي والحالة هذه أن ينقل صورة تلك الطبقة ، ويعبر عنها ، ويعززها لأنّ هذا الكتاب أُلف لعلية القوم وأشرافهم .

ونجد هذا التقسيم الطبقي داخل الحكايات : فالأسد – الملك يشغل المرتبة الأولى ، أي رأس السلم الاجتماعي ، تليه الفيلة في الضخامة والقوّة ... وهكذا ... وكل جنس من الحيوانات يتعصب لجنسه ، فالطيور تشكل طبقة تختلف عن السّباع ، وهذه تختلف عن بنات آوى ، آكلة اللحم ، ثم آكلة العشب ، الضفادع والأسماك ... ونجد القنبرة حين يعتدي الفيل على فراخها مثلاً تلجأ إلى الجماعة التي تنتمي إليها[1] – جماعة الطير . وللعقاعق والغربان منهن ، ثم أخيراً تستعين بالضفادع . كذلك فعلت المطوّقة حين كانت مستهدفة هي ورفيقاتها ، فطلبت إليهن إعانة أنفسهن ، ثم لجأت أخيراً إلى الجرذ . بمعنى أنّه لا يمكن أن تستقيم أمور جماعة ما في المجتمع بمعزل عن تعاونها مع الجماعات الأخرى ، إذ يبرز الدور التكاملي في العلاقة .

ونجد الصراع كذلك بين أفراد الطبقة الواحدة ودليل ذلك الأسد الذي ذهب ليفتك بالأسد الآخر الذي ادّعت الأرنب أنّه شتمه ، وأخذ منها غداءه ، وكذلك نجد جماعة البوم ، وجماعة الغربان ، والغراب الذي يعمل لينقذ جماعته ، والبوم الذي يحاول إحباط مشروعه لينتصر لجماعته .

إنّ أهم سمات مجتمع الحكايات هو الصّراع ، والمنطق السائد فيه هو منطق القوّة ، والقوّة لا تنحصر في العضلات وإنّما تمتد لتشمل : العلم ، المال ، والعقل الذي يعد الرائد الأول في هذا المجال . والمرأة جزء من هذا المجتمع ، يؤمن الفيلسوف بقوتها[2] العقلية فيجعلها تدير أكثر المناصب دقة وحساسية – إذا كانت مؤهلة – إنّه منصب الملك القائد ، إذ تقود الناس ، وتُسيّر أمور الملك بهذه القوّة نحو الفضيلة والرّشد ، فتنظر الحكايات إلى المرأة القائدة نظرة إكبار ، وترسم لها الصور المثالية الرائدة ، فهي تقوم بدور يعجز الأسد عن القيام به بغير تدريب وتوجيه منها .

---

(١) كذلك فعل الطيطوي حين استعان بجماعة الطير ، اللواتي استعن بدورهن بسيدتهن العنقاء بنت الريح لأنّها الأقوى . انظر الحكاية : كليلة ودمنة ، ص ١٨٠ .

(٢) لا تدافع الحكايات عن ضعف المرأة أمام عدوانية زوجها ، وإنما تعدّها قوية بحيلتها ومكرها وخديعتها ، بل وتفوق الرجال في ذلك ، أو تنظر لها على أنّها عقل ، حسب الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المال :

تقوم الدولة على عمادين : الاقتصاد والأمن ، لذا جاءت الأمثال الخاصة بالغنى كثيرة ، وذات طابع تمجيدي ، تبريري ، واعتقادي في الوقت نفسه ، فالمال هو سلطة الأغنياء لجهة السيطرة على الرجال ، وللاستهلاك (الأكل ، الجنس) ولجهة الهيمنة الطبقية والاعتقادية (صدق الغني ، وكذب الفقير ...) .

إذن ، ينتج عن حيازة المال ، الاستغلال الطبقي ، فقيمة المال تبقى ثابتة ومسيطرة كأساس للسلطة الطبقية ، وهذا ما يبرز بوضوح من خلال الحث على تحصيله إذ به (يدوم السرور ، ويجتمع الإخوان ، ويستعان على أمور الدين والدنيا) .

يقول الجرذ في معرض سرده لحكايته إنّه كان في بادىء أمره صاحب العقل المدبر الذي تأتمر به الجرذان ، وكان يستعين على خدمتها بقوة المال ، وبعد أن فقده ، انفضّت من حوله الجرذان ، فلاقى من وراء ذلك عنتاً وبؤساً ، فتوّج تلك المرحلة من حياته بزهده حيث ارتحل ليقيم أخيراً في المكان الذي صادفه به الغراب وحيداً ، ضعيفاً ، فقيراً ، لتتحول وحدته بأصدقائه إلى دفء اجتماعي ، وضعفه الى قوّة ، وفقره الى غنى «فإنّه لا شيء من سرور الدنيا يعدل صحبة الإخوان ، ولا غم فيها يعدل البعد عنهم»[١] .

وحين يطرح الفيلسوف قضية المال ، فذلك لأنّها ترتبط بالعقل ، يقول على لسان الجرذ : من لا مال له ، لا عقل له ،ولا دنيا ولا آخرة له»[٢] . ذلك لأنّ المال يحصّل بالحيلة ، والعقل هو مدبّر الحيلة ، المعين على نجاحها ، فمن لا يستطيع أن يحتال للحصول على الرزق الذي يصلح به أمر الدنيا ، مما يعين على صلاح أمر الأخرة ، فلن يكون له مال ، وهو بهذا المعنى لا عقل له ، وذلك مدعاة لسوء الحظ في الدنيا والآخرة ؛ لأنّ «من نزل به الفقر لا يجد بّداً من ترك الحياء ، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ، ومن ذهب سروره مقت نفسه ، ومن مقت نفسه كثر حزنه ، ومن كثر حزنه قلّ عقله ، وارتبك في أمره ، ومن قلّ عقله ، كان أكثر قوله وعمله عليه لا له ، ومن كان كذلك فأحرى به أن يكون أنكد النّاس حظّاً في الدنيا والآخرة»[٣].

---

(١) كليلة ودمنة : ص ٢٥٣

(٢) نفسه ، ص ٢٤٩

(٣) نفسه ، ص ٢٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأصحاب المال هم الذين يفكرون لأنفسهم وللنّاس ، فمن يملك هو الذي يفكر ، والطبقة الحاكمة هي التي تملك المال ، فهي إذن التي تفكر للنّاس وتسوسهم ، «فإنّ المال جعل قوّة وزيادة في الرأي والتّمكن»[١] ، فما الإخوان ولا الأعوان ولا الأصدقاء إلا بالمال ، ومن لا مال له إذا أراد أمراً قعد به العدم[٢] ، «لأنّ الفقر رأس كل بلاء»[٣] .

إنّ استغلال الأغنياء للفقراء ، لا تطرحه الحكايات باعتباره قضية عامة ، وإنّما باعتباره مسألة شخصية خاصة لتأكيد الأمثولة ، فالجرذ مثلاً يتعامل مع هذه الحالة الطبقية بوصفها حالة فردية ، لاحالة اجتماعية خاضعة لجدّية الصّراع والتّغيير ، إذ يسيطر عليه التشاؤم والحزن ، فالفقر عنده يرتبط بالكآبه والقلق والانهزام . يقول : «حتى لقد جاء في قديم الأقاويل : إنّ من ابتلى بمرض في جسده لا يفارقه حتى يتسلط عليه ، ما هو أشد من الحاجة والفقر»[٤] .

الاغنياء هم الأقوياء لأنّهم يملكون ، والفقراء هم الأضعف لأنّهم لا يملكون ، إذن هم في وضع صراعي ، وهذا هو الحال تاريخياً وعلمياً ، إلاّ أنّ الجرذ يقدم منفذاً للمشكلة وهو منفذ الزهد في المال ، وإقناع النفس بالقليل لترضى ، حيث يبرز التبرير التعويضي أو التهذيبي في قوله : «فوجدت البلاء في الدنيا إنّما يسوقه الحرص والشّره ، لأنّهما لا يزالان يدخلان صاحبهما من شيء إلى شيء»[٥] .

فهو يحاول أن يجد المال ، ولكن المهانة تأتيه بسبب ذلك أي بسبب الحرص والشّره ، فيحاول أن يشير إلى الزّهد مبيّناً قيمة المال ، في مقابل ضرر المال ؛ إذ بالمال يكسب الإخوان ، ولكنهم ليسوا إخوان الصفاء الذين يريدهم ، كما أنّ المال يسبب لصاحبه المتاعب . لذا جعل يبحث أخيراً عن صفات تسد مسد المال . باعتبار أن للمال صفات في الواقع :(لا يعتد برأي الفقير ، ويعتد برأي الغني ...) لذا نجد خليلته «السلحفاة» تهوّن عليه حاله ، وتنبهه إلى أنّ موقفه هذا مبني على تجربة خاصة ، وأنّ الصواب ليس كما ذكر ، وبذلك تقضي له من حق الأخوة فترده الى الصّواب وهو أننا ينبغي أن نفهم الأمور فهماً عميقاً صحيحاً لا يتحدد بتجربتنا

---

(١) كليلة ودمنة : ص ٢٤٨

(٢) نفسه : ص ٢٤٩

(٣) نفسه : ص ٢٥٠

(٤) نفسه : ص ٢٥١

(٥) نفسه : ص ٢٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذاتية منها ، حين تقترب به إلى فهم الموقف الموضوعي من المال باعتباره حاصلا طبقيا تاريخيا ، إذ لا يوجد في الكون غنى مطلق كما لا يوجد فقر مطلق ، على الإنسان إذن أن يبحث عن الوسائل التي تحقق له السعادة والغنى ، وهي تعني الغنى في مستواه المعنوي أو الروحي ، الذي يعطي للحياة بهجتها الحقيقية وثراءها الفعلي ، ويمكن أن يتحقق ذلك بالحكمة ، وبتلازم العلم بالعمل . تقول السلحفاة مخاطبة الجرذ :

« واعلم أن حسن الكلام لا يتم إلا بحسن العمل ... فاستعمل رأيك ولا تحزن لقلة المال ، فإنّ الرجل ذا المروءة قد يكرم على غير مال .. والغني الذي لا مروءة له يهان وإن كان كثير المال ... فإنّ العاقل لا غربة له ، فلتحسن تعهدك لنفسك ، فإنّك إن فعلت ذلك جاءك الخير يطلبك من كل مكان»[١] .

وتعتمد السلحفاة في ذلك على أن المال الكثير لا ثبات له ، فالعاقل لا يحزن لقلته ، ولكن ماله عقله ، وما قدّم من صالح عمله[٢] ، ثم تنهي حديثها مذكرة الجرذ : «وأنت عن موعظتي غني بما عندك من العلم»[٣] .

لنخلص إلى أنّ الأشياء في الحياة منها المادي ، ومنها المعنوي ، فإذا كان المال يمثل الغنى المادي ، فإنّ الصداقة الحقّة تمثل الغنى الروحي المعنوي والصداقة كالمال تنضب إن لم نجعلها تنتج وتستمر ليدوم عطاؤها بالفكر والحوار المسؤول والنقد البنّاء ، ودوام العون والمساندة ، فإذا لم نفعل ذلك وخسرنا صداقاتنا قدنا أنفسنا إلى الفقر الاجتماعي ، وحرمنا أنفسنا من الطمأنينة والأنس والأمن ، الذي لا تستطيع أن تعوّضه كنوز العالم ، كما لا تستقيم الحياة إلا به ، وبالعقل يكسب الإنسان المال والإخوان .

---

(١) كليلة ودمنة : ص ٢٥٤ – ٢٥٥

(٢) نفسه : ص ٢٥٥ بتصرف

(٣) نفسه : ص ٢٥٥ – ٢٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القدر :

إنّ حكاية [ابن الملك وابن الشريف] هي الحكاية الوحيدة[١] التي تخرج فيها الأمور عن مسارها الطبيعي أو المعتاد في التّحيّل واستثمار العقل لحل المشكلات كما في الحكايات الأخرى، ليصبح القدر سيّداً حتى لا يقدر الإنسان على رده[٢] .

تمثل الحكاية الدور الذي يمكن أن يؤديه الحظ في حياتنا ولكنها في الوقت نفسه تدلنا على أنّ علينا أن ننجز شيئاً جديداً ومختلفاً لا يلعب الحظ فيه أي دور ؛ فتحصيل المال يحتاج إلى العمل ، والخروج من الورطة ، وبلوغ الأهداف كذلك ، بعيداً عن الوهم[٣] والتّردد والكسل .

وتشير الحكاية إلى قوّة الفكر الغيبي ، فالجبرية التي انفردت بها الحكاية لا تختلف في أساسها الاعتقادي عن الجبرية الدينية ويبقى الاختلاف في الصيغة التّعبيرية مع وحدة المضمون ، أي تغلب القدر على التغير والتبدّل . يقول ابن الملك : «إنّ أمر الدنيا كله بالقضاء والقدر»[٤] ، والصبر للقضاء والقدر وانتظارهما أفضل الأمور ، «فإنّ الذي منحني الله إيّاه وهيأه لي إنما كان بقدر ولم يكن بجمال ولا عقل ولا اجتهاد»[٥] ، بمعنى تغلب (أمر الله) على (أمر الإنسان) . حيث إن النصيب والحظ يرتبطان بالقدر الأعمى ولا يخضعان لفعل الإنسان أو لسعيه أو التّبدل في الأيام ، وإذا حصل التّبدل باعتبار أن (الدهر يومان) ، فإنه يكون نتيجة جبرية لا نتيجة إرادة بشرية وحرية اختيار . وما دام الحظ من الله فإنّ احتمال القدر يستلزم الصبر والإيمان ، وأنّ التمرد على الجبر يدفع إلى الندم .

إذ يثبت القدر أنهّ أقوى من التدبير البشري ، ومن القوى الانسانية إذ كلها في النتيجة

---

(١) لم تخل الحكايات من طرح موضوع القدر ، ولكنه طرح ضمن سياق عام ، ليس الهدف منه تأكيده ، وانما تقديم إجابة أو تعليل لسبب نزول المكروه مثلاً بأحد دون آخر ، أو مواتاه التوفيق لوضيع من الناس ، ومجانبته لرفيع منهم .

(٢) فالقدر هو الذي ساق الثور إلى حتفه ، ص ١٧١ ، وهو الذي انقذ الملك من براثن المعتدي ، وبسببه عميت الحمامة عن الشّرك ، ووقع الظبي في أشراك الصياد ، وهما من الأكياس . انظر الحكاية : الحمامة المطوّقة ، ص ٢٣٧ و ص ٢٥٨ .

(٣) انظر حكاية : الناسك وجرّة السمن ، ص ٣١٩ .

(٤) كليلة ودمنة :- ص ٣٩٦ ، بيروت

(٥) نفسه ، ص ٤٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تخضع له . أو محكومة به .

ولعل هذا الباب يفتح جدلاً واسعاً أمام المنهج العلمي لكي يميز ما بين الإرادة الجبرية التي تطرحها هذه الحكاية وبين الإرادة البشرية التي تجابهها ، أي بين ما فوق الاجتماعي والاجتماعي في سياق التطور التاريخي ذاته ، خاصة في كتاب تمجد حكاياته العقل والعقلاء .

فقد مكّن التّداخل الديني والدنيوي من وصول شخصيات الحكايات المتنافسة إلى حالة من الرضى والاستسلام للأمور التي تستعصي على الفهم أو التفسير ضمن المنهج المنطقي الواقعي . ورغم أن ابن الملك اتسم بالسلبية في عدم سعيه لتحصيل رزقه ، فإن الحكاية تؤكد أن على الإنسان الأخذ بالأسباب والسعي لينال ما يريد ، وعدم الاقتداء بمن تؤاتيهم الأقدار بما يريدون ، فهم في الناس قليل . وقد اقتضى تأكيد الموقف ، التكرار الذي لزمه الفيلسوف في عرض خروج كل واحد من أبطال الحكاية (ابن التاجر ، ابن الشريف ، ابن الاكار ، ابن الملك) لنيل رزقه ، وجّده في سبيل ذلك .

ففي الحكاية ترتسم صورة نادرة للإنسان الكسول الذي يكافأ على كسله بأعظم الأرباح التي تتعدى كل وصف ، وتؤكد هذه الحكاية عقيدة راسخة في أذهان كثير من الناس وهي أن الإنسان منذ أن يولد يكون مسيّراً بحكم القضاء والقدر ، ولا ينال إلاّ ما كتب له من خير أو شر ولا يمكن لقوة أن تغير هذا المكتوب مهما بذلت من محاولات وجهود ، وبخاصة في زمن كان الناس يعتقدون فيه أن الملوك آلهة أو أنصاف آلهة ، وعندما زالت هذه العقيدة ، صاروا يعتقدون أن الملوك أولياء الله في أرضه ، ولهذا كانوا ينظرون إليهم نظرة قداسة وإعظام [١]، ولعل الحكاية لم تهمل ذلك إذ جعلت ابن الملك هو الذي يحظى بمرتبة الملك بحكم القدر دون أصحابه ، وذلك لأنّ فيه دماً ملكياً ، فهو وحده المؤهل لذلك الشرف الرّفيع ، نظراً لتقسيم النّاس إلى مراتب ومنازل ، كما جاء في الكتاب . قال كليلة لدمنة : «واعلم أن لكل إنسان منزلة وقدراً ، فإن كان في منزلته التي هو فيها متماسكاً كان حقيقاً أن يقنع»[٢] .

وتختلف هذه الحكاية عن الحكايات الأخرى أن النهايات في الحكايات طبيعية واقعية ، قد تنتهي بفوز البطل أو فشله ، وغالباً ما تكون ناتجة عن فعل إنساني ، وتقود إليها أسباب مرتبة ترتيباً

---

(١) انظر :- يوسف أمين قصير : - الحكاية والإنسان ، ص ٢٦ .

(٢) كليلة ودمنة : ص ١٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منطقياً ، وتحمل معظم الشخصيات فيها تناقضاً درامياً أصيلاً موحياً ؛ وهكذا نجد الإنسان الضعيف يحاول تعويض هذا الضعف فيه بقوة الحيلة التي تنم عن العقل الفطن المتيقظ .

لا تطلب الحكايات من الإنسان أن ينسى أتعابه المضنية وآلامه ، وإنّما تأخذ بيده لتضعه أمام مشكلاته للتأمل في أسبابها ، والبحث العلمي عن حلولها الممكنة بالاعتماد على النفس والثقة فيها ذلك أن الإرادة والقوة هما السبيل الأقرب إلى النّصر .

وتخرج عن هذا الطور أيضاً حكاية أخرى هي حكاية [السائح والصّواغ][1] ، التي تعالج قضية عدم وفاء الإنسان فتصفه بالخيانة والغدر ونكران الجميل ، في حين تولي الحيوان صفات الأمانة ، وحفظ المعروف . وهي الحكاية الوحيدة التي تتم فيها الاستعانة بقوة غير عادية هي قوة (الجن) من أجل دفع الظلم وتحصيل الحقوق . وذلك من أجل تأكيد المغزى من الأمثولة وهو ضرورة معرفة من يستحقون معروف الملك وإحسانه . إذ من الصعب أحياناً معرفة ذلك[2] أو تمييز هؤلاء ، لأن الإنسان ابن مصلحته يعمل بها ولها .

---

(١) انظر الحكاية : كليلة ودمنة ، ص ٣٨٩ .بيروت

(٢) كما خان دمنة عهد الأسد ومعروفه ، خان الصائغ معروف السائح معه . وقد كان وعده أن يكافئه على ما فعل معه من معروف ولكنّه بدل من ذلك تآمر عليه ، وكاد أن يهلكه ، كما فعل دمنة حين تآمر على الملك وخانه في نفسه ، وفي أعز أصفيائه عليه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

ركّزَ الفيلسوفُ أدبياتِ الحكمةِ على قيمةِ الكلمةِ وقوّتِها في بُعْدَيْها السلبي والإيجابي ، وفي قدرتها على فهمِ الواقعِ الإنساني وترجمَتِهِ عَبْرَ أعمالٍ إبداعيةٍ ومآثرَ خالدة .

فكلُّ حكايةٍ من حكاياتِ كليلة ودمنة تختلفُ من حيث صورتُها الظاهريةِ عن الحكاياتِ الأخرى في نوعيةِ الشخوصِ وصفاتِهم وأدوارِهم الاجتماعيةِ ، والمَهمّاتِ التي ينتدبونَ أنفسَهم للقيام بها ، والغايةِ منها .

غير أن المتأملَ لهذه الحكاياتِ يكتشفُ أنّ هناك مبنىً حكائياً ينتظمُها ليؤدي بنا إلى غايةٍ واحدةٍ تهدفُ إلى إغناءِ الواقعِ بكشفِ الحقائقِ ، وفتحِ آفاقِ المعرفةِ .

إنّ تفكيكَ المبنى الحكائي يكشفُ جوانبَه المنطقيةَ والجماليةَ ، حيث تظهرُ البنيةُ الأساسيةُ لعالمِ المعنى منتقاةً من الأوصافِ والتكراراتِ والمجازاتِ التي تُخفي وراءَها هذه البنية ، فالنّصُّ غنيٌّ بالخصائصِ الأسلوبيةِ ، والخصائصِ السيميائيةِ وهي مواصفاتٌ جديدةٌ توحي بأن النّصَ كان يوظِفُها توظيفاً مقصوداً ويُلِحُ عليها لتؤدي عنه دلالاتٍ تاريخيةٍ أو اجتماعيةٍ أو نفسيةٍ ، أو جماليةٍ ، كما يوظفُ العيونَ ، والوجهَ ، والألوانَ على اختلافِها ، إذ تنتقلُ الألفاظُ من الدلالةِ اللغويةِ إلى الدلالةِ السيميائيةِ لتصبحَ رمزاً لشخصيةٍ أو رمزاً لفعل ، وهذه هي السيرةُ اللغويةُ والأسلوبيةُ التي ينفردُ بها النصُ ويحاولُ إيجادَ بنيةِ الخطابِ عَبْرَها .

إن بحثَنا في البناءِ الحكائي يفيدُنا في كيفيةِ كتابةِ الأعمالِ الأدبيةِ وقراءتِها وتحليلِها ، كما يفيدُ في تربيةِ النشءِ تربيةً عقليةً و نفسية .

فإذا انطلقنا من مفهوم البدائيين عن العدالة ، فإنّ أولئك الذين يفعلون الشرّ هم الذين يجب أن يعاقبوا . إذ تنطلق الوحدات الوظيفية الأساسية في هذا النص لتحقيق الغاية التي أرادها الكاتب . ومن أهم هذه الوحدات :- الإساءة ، المهمة الصعبة ، العقد ، الاختبار بأشكاله .

هذه الوظائف من الأهمية بحيث أنّها تكرّرت في معظم حكايات الكتاب ، مما يساعد على كشف المبنى الحكائي فيها :-

تبدأ الحكايةُ عامةً بوضعيةٍ فيها شقاء ، أو سعادةٌ متميزةٌ ثم تتحولُ عن ذلك بالوقوعِ في ورطةٍ ، أو العكس .

إذ تظهرُ لدى أبطالِ الحكاياتِ مهماتٌ صعبةٌ وشاقةٌ عليهم إنجازُها قبلَ أن يستحقوا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الانتصار النهائي .

وتتشابه الوظائف داخل الحكايات في الظاهر منها ، ولكنّها تختلف في حقيقتها بحسب اختلاف دوافع الفاعل وغاياته . كثيرون قاموا بالمهمة الصعبة ولكنهم لم ينجحوا جميعاً فيها ، ويعود ذلك إلى المجال الذي ينحاز له البطل في سعيه نحو تحقيق أغراضه .

إن قيام البطل بالمهمة الصعبة يعني أنّه اتخذ موقفاً من موضوع ما يُلزمُه التحركُ على نحو معين ، مما يقتضي عقد البطل – بينه وبين نفسه أو بينه وبين الجماعة التي ينتمي إليها ، أو بينه وبين الآخرين – عقداً يتضمن العزم على إنفاذ الأمر المتعاقد عليه .

واستخدمت الحكايات لفظ «العقد» ليدل على شكل الوثيقة ، وهو هنا الكلمة ، وقد يتّسع ليختص بالناحيتين الاجتماعية والسياسية في حين ينفرد الميثاق بالدلالة على الأمور السياسية ذات العلاقة المباشرة بالملك ، أما العهد فهو الالتزام الأخلاقي داخل العقد أو الميثاق والذي يستلزم بدوره التجرد من الهوى ، بيد أنّ التزام الأطراف المتصارعة بمضمون العقد في الحكايات غالباً ما يرتبط بالمصالح ، خاصة إذا تعلق الأمر بأمور الملك .

وتقدم الحكايات وجهين لذلك بقصد إبراز الأمثولة :–

الأول : نجاح البطل في إنجاز العقد ، وما يترتب على ذلك من مكاسب للفرد أو للجماعة التي ينتمي إليها حسب نوع العقد .

الثاني : إخفاق البطل في إنجاز العقد ، وذلك بقصد الكشف عن الدّوافع الاجتماعية والسلوكية التي أدّت به إلى هذا الإخفاق .

فالعلاقات داخل المجتمع قد تكون في أرقى المستويات (الأسد والثور) أو في البنية التحتية (الأرنب والأسد) ، إذ توجد أشياء كثيرة مشتركة ، ولكن ليس من الضروري أن تكون النتائج مشتركة ، وذلك بسبب التمايز الطبقي ، والاجتماعي والاقتصادي .

حكاية (الأسد والثور) بمنظور القوّة هي حكاية رئيس الدولة ومنافسه ، وتتناول وجهاً من أوجه علاقة (الصداقة والعداوة) بين الأفراد ، ولكنها تأخذ بعداً يختلف عن أية حكاية أخرى ، إذ لا بد أن يقتل أحدهما الآخر في نهاية المطاف ، حتى لو كان ذلك باسم الشّك . فالأسد قتل الثور رغم العهد الذي بذله له من نفسه ، لأنّ مصلحته تتعارض مع الوفاء بالعهد ، كما تتعارض مع دوافع الآخر في الالتزام بالعهد ، مع أنّ غاية الأمثولة مختلفة ، إذ قتل الأسد أحد أعوانه المخلصين بسبب الخديعة والغرور والجهل .

عقد الأسد مع الوحوش – في الحكاية الفرعية – قائم على التلف لذا استطاعت الأرنب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اختراقه وإبطاله حين عقدت بينها وبين الوحوش عقداً بديلاً يقوم على تحقيق المصلحة للطّرفين ، ولكن ليس لذلك غاية الأمثولة أيضاً ، وإنما لتوعية الأسد لحثه على القيام بمسؤولياته .

ذلك أن المدخل الذي ابتغى منه الكاتب إيصال الحكمة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالألم ، وذلك ليحدث الأثر الذي يبتغيه في نفس المتلقي .

وفي حكاية [البوم والغربان] يكتمل نقد الحكايات للسلوك الفردي والجماعي من خلال مواقف ملكين ومستشارين ، يعزّز رأي أحد المستشارين في حين يهمل الآخر ، فيترتب على ذلك انتصار الأول وجماعته ، وهزيمة الثاني وجماعته .

فيكشف النص بذلك عن جمالياته في المقابلة بين طرفين :- الفخ - مثلاً - غير ظاهر ، ولكنه يحمل معنى سلبياً ، في حين تحمل الدرّة معنى إيجابياً رغم أنها ليست ظاهرة كذلك .

من هنا تبرز البنى العميقة للعقل الذي يمنع الوقوع في الورطة القاتلة ، حيث تقدم الحكايات أمثلة نموذجية سلبية أو إيجابية في ابتداع الحيلة واختراع المكر المناسب للتخلص من الورطة .

والحيلة في الحكايات من فعل البطل والمعتدي على السواء ، وهي وسيلة لبلوغ الغايات ، والغايات مختلفة متباينة ، كما تحتاج الحيلة إلى أدوات ، ونوع مختلف من العلاقات لذا فهي تدخل ضمن المهمة الصعبة ، ولكن العقل هو الذي يشير بها ، فقد يلجأ البطل إلى الآخرين للاستعانة بهم ، وهنا تأتي أهمية الكشف والاختبار بمستوياته المتعددة (الخلقي والفكري والسلوكي) للذات وللآخرين ، لتمييز القدرات الخاصة أولاً ثم لتمييز العدو من الصديق أو المساعد من غيره .

إن طرحاً كهذا تبدو أهميته إذا ما قرن بالشّخصية الأولى في المجتمع - شخصية الملك - وما يقتضيه الملك من دراية وتدبير واحتياط .

إن كل حكاية رئيسية من حكايات كليلة ودمنة تقوم على نظرية وتطبيق ، تتدخل الحكايات الفرعية ، لتأكيد بنية الكتاب الرئيسية وتكميلها . وتشبه حركة الحكايات الفرعية حركة الحكايات الرئيسية إلى حد بعيد ، إذ لا تلد الحكاية إلا أخرى مماثلة لها ، وتفريعات الحكاية الفرعية موظّفة لخدمة حركة النص الأصلية بمعنى أنها تسير بالحكاية نحو مبنى حكائي واحد .

وبذلك يصبح شكل الحكايات في تطورها البنيوي على النحو التالي :-

الحكاية الرئيسية (الأسد والثور) ١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحكاية الفرعية (الغراب والأسود وابن آوى) ٢

الحكاية المولّدة داخل الحكاية الفرعية (العلجوم والسرطان) ٣

عودة إلى الحكاية الفرعية (الغراب والأسود وابن آوى) ٢

ثم إلى الحكاية الرئيسية (الأسد والثور) ١

وتسير معظم حكايات الكتاب على هذا النحو

١ - ٢ - ٣ - ٢ - ١

أو ١ - ٢ - ١

حسب مقتضى الحال .

فكل حكاية من حكايات كليلة ودمنة تشكل نظاماً قائماً بذاته ومقفلاً على نفسه ، ولكنّه ينفتح في داخله على عدد من الحكايات ، هذا الانفتاح الذي يتسم بالغنى والعمق والتجديد في المعاني والأفكار يعود ليقفل الحكاية الرئيسية من جديد .

وتشكل الحكاية الرئيسية نظاماً مع الحكايات في الأبواب الأخرى ، التي تتضمن بدورها عدداً من الحكايات .

ولا بد أن يكون هذا الإحساس بالشكل قد تطوّر ذات مرّة ، أي السعي وراء نظام محدد في التفصيلات ، فهو يخضع لقواعد محددة . وإذا نحن أخذنا بتفسير مصدر هذه الرغبة في الشكل بإرجاعها إلى المجال التعليمي أمكننا فهم الحكايات بطريقة أوسع وأعم ، كما يسمح بذلك تفسير بعضها بقراءة العلاقة التي يقيسها كل مستوى مع غيره من المستويات داخل النظام الواحد .

وينبغي أن أشير إلى أن المعنى الحقيقي للحكايات وتأثيرها لا يقدّران ، وروعتها لايمكن أن تنجح إلا إذا كانت مقدّمة في شكلها الأصلي ، فلكي أستطيع أن أنقل شكل كامل الحكايات التي درستها ، كان من الواجب أن أكتفي بوصف أحداثها الرئيسية وبما أنّه من السهولة أن يحصل القارىء على هذه الحكايات ، فإني آمل أن تعطي هذه الدراسة المناسبة لإعادة قراءتها في نصها الأصلي ، لأنّ هذه القراءة للنسخة الأصلية وحدها تسمح أن نقوّم خصائصها ، وأن نفهم في الوقت نفسه كيف تستطيع هذه الحكايات أن تغني عقلاً فتياً مستعداً للاستجابة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

العربية :

١ – أحمد بهجت ، قصص الحيوان في القرآن ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٣م.

٢ – عبد الفتاح كيليطو : الحكاية والتأويل ، الطبعة الأولى ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٨م.

٣ – عبدالله بن المقفع ، كليلة ودمنة ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

– عبدالله بن المقفع ، كليلة ودمنة ، درسها وعلّق عليها : الدكتور طه حسين ، والدكتور عبد الوهاب عزام ، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ، القاهرة ، ١٩٤١م .

٤ – العهد القديم .

٥ – لويس معلوف ، المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٠م

٦ – ياسين النصير ، الرواية والمكان ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٨٠م.

٧ – يوسف أمين قصير ، الحكاية والإنسان ، الطبعة الأولى ، وزارة الإعلام – مديرية الثقافة العامة ، بغداد ، ١٩٧٠م .

الاجنبية :

٨ – بتلهايم ، برونو ، التحليل النّفسي للحكايات الشعبية ، ترجمة طلال حرب ، الطبعة الأولى، دار المروج ، بيروت ، ١٩٨٥م .

٩ – بروب ، فلاديمير ، مورفولوجية الخرافة ، ترجمة وتقديم ابراهيم الخطيب ، الطبعة الأولى ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشركة المغربية للنّاشرين المتحدين ، الدار البيضاء ، ١٩٨٦م .

١٠ – دير لاين ، فردريش فون ، الحكاية الخرافية ، نشأتها ، مناهج دراستها ، فنيتها ، ترجمة نبيلة ابراهيم ، مراجعة عز الدين اسماعيل ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

١١ – لوتمان ، يوري ، وآخرون ، جماليات المكان ، ترجمة : سيزا قاسم ، الطبعة الثانية ، عيون المقالات ، بانذونغ ، الدار البيضاء ، ١٩٨٨م .

١٢ – ميكيافللي ، نيقولاي ، الأمير ، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

The Structure of Fable In Kalila wa Dimnas of Ibn Al-Muqaff'as

(A Critical Study)

This thesis deals with Ibn al - Muqaffa's "Kalilah wa Dimnah", which is an admirable narrative classic that glorifies wisdom and wise men as wellas the freedom of human wit . It aims at undertaking a textual study of the structure of the fable in this work, and , therefore attention has been focused on the literary work itself : units, functions and text of the fable, to the exclusion of the sources or origins of this literary form , and of all textual matters .

In analyzing the fables of the book , I have adopted Propp's method in its general framework, but allowed myself the liberty to deviate from it wherever the text so necessitated. I have relied , in my study of the book , on the edition of Dar Maktabat al-Hayah , Beirut , but referred occasionally to the edition of Dr. 'Abd al-Wahhab 'Azzam and Dr. Taha Husayn , as needed . ٤٢٢٢٤٢

The value of this study stems from the fact that it may help in understanding how literary works can be written, read or analyzed . It may also contribute towards providing younger generations with a proper rational and psychological education based on scientific grounds .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Although each fable in Kalilah wa Dimnah is apparently different from the rest , close examination reveals that they are all linked by a certain narrative structure leading to one end that aims at enriching life by uncovering truth and opening the gates of knowledge.

I have "deconstructed" the narrative structure in order to disclose its aesthetic and logical aspects, for the text abounds in stylistic and semiotic characteristics that mask the infrastructure of the realm of meaning , where the reason comes in to play to maintain the authority and the society it governs , and watch over the individuals in as much as it is the faculty that can always be depended on to achieve happiness and harmony .

The Philosopher has adopted one system of narration. Each main fable contains a theory and an application of the theory. Secondary fables serve to bolster and supplement the total structure of the book . Thier movement is largely similar to the movment of the main fable , for each story generates only one similar to it . Subsidiary fables sprouting from the secondary fables are further enrolled in the service of the basic movement of the text to produce an uniform narrative structure .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit